والقيمة المطلوبة في ذلك هي ان من يستطيع اللحوق بمجاهدي فلسطين بنفسه فليلتحق بهم ، واني ضمين انه كالمجاهدين مع النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - في بدر ، فان المقام اجل واعلى من ذلك المقام ، مقام شرف وغزة وحسن وشعور الا مقام طلب اجر وثواب ، وان كان كل ذلك باعلى مراتبه .. ومن لم يستطع اللحوق بنفسه فليعدهم بماله ، إما بتجهيز من لا مال له ليلحق بهم ، او بارسال المال الى المجاهدين وعيالهم واطفالهم ، ومن عجز من كل ذلك ، فعليه أن يجاهد ويساعد بلسانه وقلمه ومساعيه بجهد امكانه .. وهذه هي ادنى المراتب .

وليكن كل احد على علم جازم أن القضية قضية موت العرب وحياتها ، وليعلم ناشدو الوحدة العربية والاسلامية انهم لا يجدونها ابدا إلا بنصرة فلسطين ، فان انتصرت - بحول الحي وقوته - فما يرومونه من الوحدتين في قبضة ايديهم وعلى كثب منهم ، وان كانت الاخرى - لاسمح الله - فاين العرب واين الاسلام حتى تكون لهم وحدة او تطالبها لهم القضية ! .. نكون كما يقول ارباب الفنون « سالبة بانتفاء الموضوع » .

هذه دعوتي وندائي العام ابعثه الى عموم العرب والاسلام .

ويشهد الله لولا اني قد تجاوزت العقد السادس من العمر مع تراكم انواع العلل والاسقام على هذه العظام النخرة ، لكنت

اول من يلبي هذه الدعوة ، ولشخصت بنفسي اليوم الى تلك البلاد المقدسة كما شخصت اليها بالامس .

وانه لعزيز علي انه لم يبق عندي من النصرة لها الا هذه الكلمات ، وعراني الى تنسيق العبارات ، وتوقد لاعج الزفرات .. وعند الله احتسب كل ذلك ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

النجف الأشرف — محمد الحسين

٥ / ٦ / ١٣٥٢ هـ — آل كاشف الغطاء

مكتبة الروضة
للحاج حسين آل كاشف الغطاء
النجف الأشرف — العراق

مكتبة الإمام

فتوى ثانية للفقيد

نشرت في الصحف العراقية بالعنوان التالي :

« اعلان الجهاد المقدس لانقاذ فلسطين »

أصدر سماحة المجتهد الكبير

العلامة الشيخ محمد الحسين آل

كاشف الغطاء الفتوى الخطيرة

التالية في سبيل انقاذ فلسطين :

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد

من العراق ـ النجف الاشرف

١٥ ذو القعدة ١٣٦٦ هـ

« يا أيها الذين آمنوا : هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم . . تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ، ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون . يغفر لكم ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة في

جنات عدن ، ذلك الفوز العظيم . واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب . وبشر المؤمنين . . . » .

طلب مني بعض الاعاظم ارسال نسخة من الفتوى التي كنت اصدرتها في لزوم الدفاع عن فلسطين . والباعث على هذا الطلب ما وصلت اليه هذه الارض المقدسة في محنتها الحاضرة بعد كفاح ثلاثين حولا ، والتضحيات بالانفس والاموال التي تفوق حد الاحصاء .

ونحن نرى ، في الحال الحاضر ، ان المحنة والبلوى قد تجاوزت حدود الفتوى ، واصبح كل ذي حس من المسلمين يفتي له وجدانه ويوحي له ضميره وجوب الدفاع عن فلسطين بكل ما في وسعه ، ويستهون ببذل العزيزين (النفس والمال) في هذا السبيل واعلان الجهاد المقدس .

فلا تهنوا ايها المسلمون . . ولا تحزنوا وانتم الاعلون . . وان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم . وما النصر إلا من عند الله والله قوي عزيز .

النجف الاشرف — محمد الحسين آل كاشف الغطاء

صرخة داوية لفلسطين المنكوبة

من الامام حجة الاسلام آية الله ، كاشف الغطاء ، لعموم المسلمين

« فذكر ، ان الذكرى تنفع المؤمنين » .

ايها المسلمون :

نشرت الصحف العراقية عليكم نداء عاماً مناشيء جواب الكتب التي وردتنا من لفيف من الشباب البغدادي النجيب ومن غيرهم، وكان ذلك قبل اعلان الحرب الرسمي ـ أي قبل ١٥ أيار ـ .

أما اليوم وقد اشتبكت الدول العربية ، واعلنت حربها لليهود لتطهير البلاد المقدسة من رجس الصهيونية . . فقد اصبح جميع العرب في حالة حرب .

والمصيبة العظمى التي نعلمها اعظم من مصيبة الصهيونية هي ان المسلمين ،والاخص العراق بحدته،وعشائريه ،وزعمائه ، وشبابه، وسائر طبقاته . . لايزالون يغطون في نومهم العميق . . لا يحسون بهذا الخطر ولا يشعرون بهذا الخطر كي يقوم كل واحد بواجبه،

ولا يزالون يعبثون في سكرتهم ، ويتمتعون في شهواتهم ولهوهم .

ايها المسلمون :

أتحسبون ان اليهود اذا غلبوا على فلسطين ـ لا سمح الله ـ يتركون العراق والحجاز وغيرها من الاقطار العربية ؟!! . . أيهون عليكم ان تصبحوا رعايا لاشقى امة في الارض : اليهود والسهاينة ؟!

فان كنتم لا تحضرون ميادين الحرب مع اخوانكم فلا اقل من اعانتهم بجميع الاموال والعتاد والسلاح .

وكان اللازم ان تكثروا الاكتتابات الشعبية في كل مدينة ، وفي كل قبيلة ، ومن كل زعيم ، ومن كل تاجر وذي ثروة . . ثم تمدونهم بالتضرع والدعاء الى الله ـ جل شأنه ـ في كل جامع ، وفي كل مسجد ، وفي كل مرقد من المراقد الشريفة . . تتضرعون اليه ـ تعالى ـ وتضجون بالعويل ، خاضعين باكين ، في ان يعضد اخوانكم الذين في المعارك ، وتحت حمم القنابل بالنصر والثبات ، ويكتب لهم الفوز والظفر .

ايها المسلمون :

قد برز اليوم الايمان كله الى الشرك كله . . وعادت الحروب

الصليبية بابشع صورها ،وتألبت دول الكفر باجمعها على الاسلام باجمعه .

أتعرفون ما معنى « الحروب الصليبية » ؟ . . . هي اتفاق دول الغرب على محو كلمة الاسلام من صفحة الوجود ، كما صنعوا في القرن السادس زمن صلاح الدين الايوبي .

افلا يجب عليكم ـ ايها المسلمون ـ ان تهبوا لحفظ كرامتكم وبلادكم من ألد اعدائكم ؟ !

واعلموا ان الله ـ سبحانه ـ لايجعل النصر لكم إلا اذا انقطعتم الى الله ، وتركتم الملاهي والمقاهي والسينمات ، وتجعلونها حراماً عليكم حتى ينصر الله اخوانكم في فلسطين . فان رجعتم الى الله وتبتم ، ورفعتم المحرمات والمنكرات ، واخذتم بالدعوات والتضرعات . . فانا الضامن لكم بالله ـ جل شأنه ـ ان يكون الفتح لاخوانكم والنصر وقفاً على جيوشكم ، والا فخزي الدنيا وعذاب الآخرة !

اللهم اشهد ، فانا قد بلغنا وانذرنا ، واليه الحجة البالغة .

« وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

النجف الاشرف محمد الحسين كاشف الغطاء

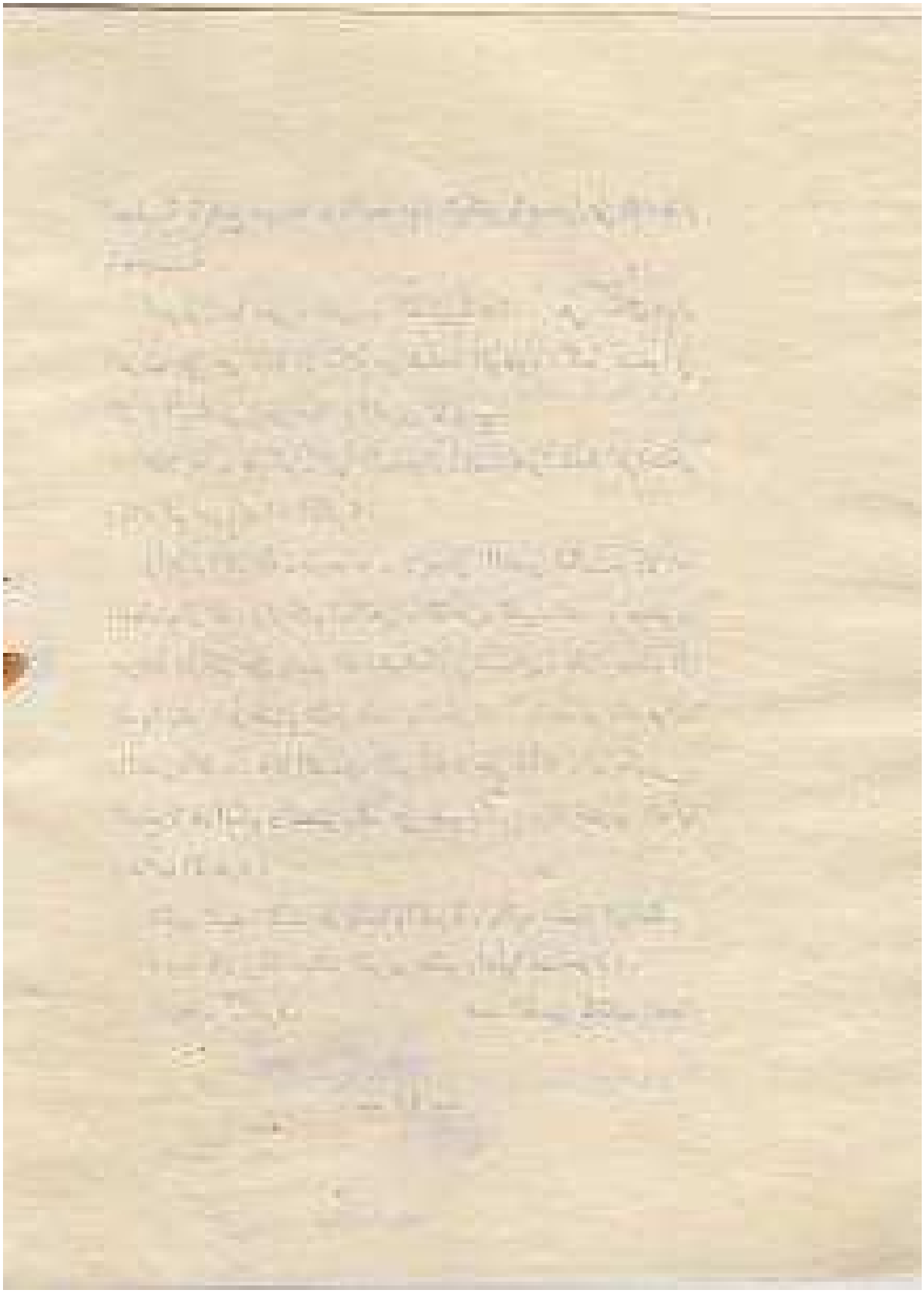

خطبة

الاتحاد والاقتصاد

الخطاب الجليل الذي تفضل به سماحة
المصلح العظيم ، امام المؤتمر الاسلامي ،
العلم ، حجة الاسلام ، الشيخ محمد الحسين
كاشف الغطاء ، والقاه في المسجد الاعظم
بالكوفة في ٦ شوال ١٣٥٠ هجرية .

تقـــديم

وبعد . . .

فلا أراني مغاليا اذا قلت ان الأمة الإسلامية عامة اصبحت في حالة دونها شق الشعائر وقع المزائر ، عائمة في ميدان الجهالة ، سادرة في ميدان الغواية والضلالة . . اخذ الاجنبي بخناقها ، وبعض الدخيل بكاكله على غاربها . . تصبح على هم وتمسي على غم . . تكاد ما لو تشعر الحمامة بعضه لارقت اطواقها ، وتحمل ما لو احست الجبال بمثله لاكدت اطراقها . . داعية على النفاق ، داعية الى الشقاق . . يأكل القوي منها الضعيف ، ويدافع البـــدين النحيف . . وايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه ؟!!.

رؤوس لا تفكر ، وجسوم لا تدبر !

اني لافتح عيني حين افتحها على الكثير ولكن لا ارى احدا

قومهم واحد . . نبيهم واحد . . كتابهم واحد . . تكاليفهم واحدة . . كل اصولهم وعقائدهم واحدة . . الا انهم مختلفون ! . .

هذا ـ لعمر الحق ـ العجب العجاب ، هذا الذي يحير الاوهام

واطلق الالباب . أوين واحد وشنشان ؟ وسطح واحد وهوا ان ؟ ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين !

هذا اجمال من تفصيل ، وقليل من جليل ، عما اتصفت به في هذا اليوم الامة الاسلامية والجماعة المحمدية .

نعم ! وهذا ما حدى بسماحة المصلح العظيم ، والامام الجليل ، العلامة الشيخ « محمد الحسين كاشف الغطاء » الى قيامه برحلته الاسلامية وهجرته الدينية الى البيت المقدس ، لحضور المؤتمر الاسلامي العام ، مهاجراً الى الله ورسوله . ومن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله .

أجل ! هذا ما نبه منه ذلك الاسد الذي ما تعود ان يفترش التربة ذراعيه ، واسمح منه ذلك البطل الذي لم يصم يوماً من الايام عن دعوة الحق اذنيه .

فشمر - على اسم الله - عن ساعد لا يعرف الكلل ، وترجم - وهو المفوه - بلسان صدق لا يعتريه الملل . وما فتأ سماحته من يوم قفوله من المؤتمر الاسلامي حتى اليوم مقتعداً غارب عزمه الوقاد داعياً ومرشداً . . فمن استنهاض واستنفار ، الى دعوة وارشاد ، الى محاضرات اصلاحية ، الى خطب اجتماعية . . شاحذاً الهمم ، وموقداً نار الحماسة والعزيمة في قلوب العراقيين ، باعثاً

لهم ـ بكل ما اوتي من قوة ـ الى عقد الجمعيات الخيرية ، وتشكيل النقابات الاصلاحية ، وتأليف اللجان الاقتصادية ، انه بكل مقام مقال ، وبكل ناد ارشاد ، فيوم ببغداد ، وآخر بكربلاء ، وثالث بالنجف ، ورابع بالكوفة . . . .

انه بكل محفل خطاب جليل ، وبكل مشهد مقال عريض طويل ، وآخر مواقفه الخطيرة ـ كل انه لنا من امثالها ـ ذلك الموقف الجليل والمحفل المهيب ، الذي عقد لسماحته في مسجد الكوفة الشريف ـ عصر الجمعة ٢٦ شوال ١٣٥٠ هجرية ـ بناء على طلب واحتجاج من وجهاء اهل الكوفة واشرافها . . وقد حضره ثمانية آلاف او يزيدون ، من جهات العراق وارجائه ، وطبقاته العمالية ووجهائه ، وما استوى ـ حفظه الله ـ على المنبر حتى هز النفوس طربا ، وملأ القلوب حبا .

واستدام بخطب — مرتجلا — اكثر من ساعتين ، اودق في خلالهما عود الامل بعد الذبول ، واثمرت اغصان « ليت ولعل » بعد الذبول ، وديت روح الرجاء بعد اليأس في قلوب الناس . . فأثرنا ان نتقدم بذلك الخطاب النفيس الى العالم الاسلامي ، رجاء ان يستيقظ بعد غفلته ، وينتبه عقب سكرته ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » .

النجف الاشرف — صالح الجعفري

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لي صدري ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » .

ايها المؤمنون !

لو اردت ان اتكلم بكل ما اعلم ، وبما اوتيت من براعة البيان وقوة اللسان ، وبما يلائم الطبقة الراقية منكم من ذوي الفضل والمعارف ، كنت اوجبت حرمان الآخرين من الحاضرين . فرعاية لحق الجميع ، لا ممنوحة لي من ان اتكلم باللسان الذي ينتفع به الجميع ولا تختص به طبقة دون طبقة ، وقد قيل « ان الرجل اذا اراد ان يتناول شيئاً من الارض لابد له من ان يتطأطأ وينحني » ، اذاً فلا مؤاخذة لو تكلمت باللسان العادي ، بعد ان كان جل الغرض هو الافهام ، لا اظهار الصناعة والبراعة وتزويق الكلام .

قال سبحانه وتعالى : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

هذه الكرة الارضية التي نعيش على ظهرها احياء ، ونرمس في بطنها اموتاً . وكلما فيها وما عليها وما يحيط بها وما يخرج منها

من الكائنات من الامهات الاربع ؛ الماء والتراب والنار والهواء ، والموالـد الثلاث ؛ الجماد والحيوان والنبات ... كل هـذه الحقائق ، بجميع اصنافها وانواعها ، وختلف اشخاصها ، كلها قـد تكونت من اجزاء متغايرة وعناصر مختلفة ... انضم بعضها الى بعض ، وامتزج بعضها ببعض ، على نسبة مخصوصة ووضع خاص ، حتى صارت حقيقة نوعية ، لها آثارها الخاصة وخواصها المتعينة .. هذا شجر ، وهذا حجر ، وهذا انسان ...

ولكل واحد من تلك المركبات العينية فساد وصلاح ، ونقص وكمال ، وصلاح كل موجود هو عبارة عن ترتيب الاثر المقصود منه ، وحصول الغاية التي خلق من اجلها ، والثمرة المترقاة فيه .. وفساده عبارة عن تخلف ذلك الاثر ، وعدم حصول تلك الغاية منه ، فصلاح الزرع ، مثلا ، ان يثمر الثمر الجيد والحب الذي يطلب من مثله ، وصلاح المسك بأن تفوح منه الرائحة الطيبة ، واذا لم تكن له تلك الرائحة فهو فاسد .

واذا تعمقنا في البحث ، ودققنا النظر في الاسباب والعلل ، لانجد علة الفساد وسبب الصلاح في تلك الكائنات سوى ما يرجع الى امر واحد .. فصلاح الشيء وترتب اثره المطلوب منه انما ينشأ من استجماع اجزائه وانضمام بعضها الى بعض

وارتباطها على نسبة خاصة ووضع معين ، ارتباطاً يجعل تلك الاجزاء المتغايرة شيئاً واحداً ذات اثر واحد ، فاذا زادت تلك الاجزاء او نقصت ، او اختل وضعها الخاص وتركيبها المعين ، فاختل ذلك التركيب وتفككت تلك الاجزاء ، فهناك يأتي الفساد وتتلاشى الحقيقة ، ويفوت الاثر المقصود منها .

فمرجع الصلاح - في الحقيقة - في كل الكائنات الى الوحدة والانضمام ، ومرجع الفساد الى التفرق والانقسام .

ولو نظرنا بالنظرة الاولى الى الاشياء التي يعرضها الفساد ، مثل الفاكهة واللحم وغيرهما لا نجد فسادها الا من جهة انحلالها ، وخلوها ، وتفكك اجزائها .. وما كان صلاحها الا من جهة تماسك اجزائها وشدة ارتباطها وصلابتها .

وهكذا يصدق القول في هذا الهيكل الانساني بالنظر الى كل فرد منه ، فان صحته وصلاحه ليس الا عبارة عن استجماع اجزائه المقومة له على تركيب خاص ، فلو زادت او نقصت او اختل ذلك التركيب والوضع وتفككت الهيولات التي تكون منها لحمه ودمه ، جاء الفساد ، وعرض المرض ، وتسربت الى جسده العلة .. واستجماعه لاجزائه بالرتبة المعينة له تستوجب وحدة حقيقية ، بوحدة الحس والادراك والعقل ، وهذه الوحدة تستوجب تبادل المنفعة بين الاعضاء .

ومثل ماقلناه في الفرد يأتي القول في المجموع ، وامنى به الامة التي تتألف من الافراد . وكل فرد فانما هو جزء من اجزائها ، فان صلاحها بالضرورة انما هو باتضمام افرادها ، وشدة ارتباط بعضها ببعض ارتباطاً يستوجب وحدتها الحقيقية ، بحيث يعود حال المجموع حال الفرد في حد نفسه ، له روح واحدة وحس واحد ، حتى لو ضربت العين او الانف او اليد احست كل الاعضاء بالالم ، واذا ابتهجت العين بمنظر حسن ابتهج البدن كله ، وهكذا اذا انتعش الانف برائحة طيبة انتعش كل البدن . . وكذلك المنافع متبادلة بين الاعضاء ، فاليد تخدم العين وتحامي عنها ، وكذلك العين تخدم اليد كما تخدم سائر الاعضاء ، فاذا تبادلت المنافع وصار كل واحد من الاعضاء خادماً لسائرها ، فالكل قائم بخدمة الكل ، فهناك البـــدن الصحيح السوي ، الصالح القوي ، الذي لايتسرب اليه شيء من الفساد .

اما اذا فسد بعض الاعضاء انقطعت علاقته من الباقي وزال الاثر المقصود منه من منفعة البدن وخدمته ، وربما سرى فساده الى غيره ، وكان الواجب قطعه .

هذا حال الانسان فرداً ، وعلى هـــذا القياس حاله مجتمعاً . فاذا ارتبطت افراد الامة بعضها ببعض ارتباطاً يوجب لها الوحدة

الحقيقية ، تعيش بروح واحدة ، وترمي الى هدف واحد ، وتكون بمثابة الجسد الواحد السالم الصحيح الذي يسعى كل فرد من المجموع لخدمة المجموع ، واذا تألم فرد منه تألمت جميع افراده كما قال ـ صلوات الله عليه ـ : « المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد ، اذا تألم عضو اصيب سائر الجسد بالسهر والحمى » ... هناك تسير الامة بافرادها كانها بنيان مرصوص ، فتتضاعف القوة ، وتتوحد القوى ، ولا يتسرب اليها شيء من الفساد ، وتدرأ الاخطار والكوارث عنها بفضل قوتها المجتمعة ، وصارت امة صحيحة حية ، صالحة قوية ، ابا مجدها وكيانها ، وعزها وشأنها .

اما اذا كان كل فرد قد انقطعت علاقته من المجموع ، وزال ذلك الربط وتمزقت تلك الوحدة ، وصار كل فرد ـ فضلا عن انه يقتل نفسه ويعمل بفرده ـ يسعى ليهدم اخيه والاضرار به وخرابه ، فقد خرب بيت الجميع ، وانهدم صرح الامة من اساسه وهو على رأسه .. فسدت الامة باجمعها ، وزال عنها كل عز وملكة ، ووقعت في اسوأ الهلكة ، واصبحت فريسة للذئاب وطعمة للكلاب .. ، كما اصبحتم تشاهدون كل هذا بامينكم .

ثم ان الفساد الذي هو الانحلال والتفكك إنما ينشأ عما كسبت ايدي الناس من عدوان بعضهم على بعض ، وحب الغلبة

والاستئثار الفاشي ، كله من الجهل بمصالح الفرد ومصالح المجموع وان مصالح المجموع هو مصالح الفرد .

الفساد هو ان يصبح كل انسان لا يهمه إلا امر نفسه ، ولا يبالي بما اصاب اخاه او صديقه او جاره او رحمه ، ولا يواسيه في سراء ولا ضراء . . وبهذا ومثله يظهر معنى قوله ـ تعالى ـ : « ظهر الفساد في البر والبحر » من تقاطع الامة الواحدة وتفككها وبغض بعضها البعض ، فعندها « بذيقهم الله بعض ما عملوا » فترتفع البركات ، وتنقطع الخيرات ، وينزل البلاء ، ويحجب الدعاء ، ويحبس غيث السماء . وفي الحديث : « اذا رضي الله عن قوم انزل عليهم المطر في وقته ، وجعل المال في سمحائهم ، واستعمل عليهم خيارهم ، واذا سخط عليهم حبس المطر عنهم ، او انزله في غير وقته ، وجعل المال في بخلائهم ، واستعمل عليهم شرارهم » الحديث.

اذا فصلاح الامة حاله حال سائر الموجودات ، والكائنات الحيوية ، وكل ما على الكرة الارضية ، اذا اجتمعت تكون صالحة في المجتمع ، ولا يكون صلاحها الا بانضمامها وانضمامها ، بحيث تعيش بروح واحدة ، تتبادل منافعها كتبادل اعضاء الجسد الواحد والكل يخدم الكل .

قال امير المؤمنين ـ سلام الله عليه ـ : « الا لا يعدلن احدكم

عن القرابة أو العشيرة يرى بها الخصاصة ان يمدها بالذي لا يزيده إن امسكه ولا ينقصه إن اهلكه . ومن يقبض يده عن عشيرته فانما يقبض منه عنهم يداً واحدة ، وتقبض منهم عنه ايد كثيرة » .

اذا مددت يدك الى قومك فقد مدت اليك منهم الف يد . واذا قبضتها قبضت عنك منهم الف يد . فكل واحد يشتغل بيد واحدة غير نفسه او يشتغل بالف يد ؟.. ولعل الى هذا ايضاً الاشارة في الحديث المشهور « يد الله مع الجماعة » .

اذا اتفقت الامة واحب بعضها بعضاً ، كان كل واحد منها تشتغل له الايدي الكثيرة . واذا تقاطعت فكل واحد منها تشتغل في تقطيعه الايدي الكثيرة . . . وهناك الدمار ، والبوار ، وخراب الديار .

العرب كانت من اقدم الامم تجاراً ، واعظمها آثاراً ، واشدها بأساً ، وابعدها في التاريخ ذكراً ، واسماها فخراً . وكانت لهم في الجاهلية مزايا عالية ، واخلاق سامية ، قلما يحصل مثلها في امة من الامم . . . الوفاء ، والايباء ، وحماية الذمار ، وحفظ الجار ، واكرام الضيف ، وصدق الحديث ، والقناعة ، والبساطة .. الى كثير من امثال ذلك . والفضل لما امتازوا به من هذه الصفات

الحسنة صفتان مما من امهات مكارم الاخلاق : « الجـــود والشجاعة » . . واذ شئت قل : الاستهانة بالعزيزين : النفس والمـــال » !

ولكن . . هل نفعها شيء من تلك المزايا الفاضلة والسجايا الكاملة ؟ . . كلا ! ثم كلا !

بل كان بأسها بينها ، وقوتها وبالا عليها . فكان اكبر شاغل لها الحروب المستمرة بينها ، فكانت وقائعها الشهيرة ، وحروبها الكبيرة لاتحصى . وقد بلغ توالي الحروب فيها ، وتفاخرها بالسبي والسلب والغارة ، واراقة الدماء بغير حق وعلى غير قاعـــدة وقانون ، الى فوق مايتصوره العقل ، ومايشعر له الوجدان من الجهل والهمجية في وأد البنات وقتل الاولاد « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق » وعبادة الاوثان ، وتأليـــه الاحجار التي يصنعونها بايديهم ويعبدونها . . . فهل كانت الشجاعة والكرم تغنيهم شيئاً ، او جمعت لهم شملا ، او وحدت لهم كلمة ؟ . . كلا ! . . بل كانوا بحيث يقتل الاخ اخاه ، والولد اباه ، والعشيرة الواحدة بينها حروب كثيرة .

وما زالوا يتخبطون في حنادس الظلم والظلمات ، وتتسلل الاولاد والعشيرة . . فكانت امة فاسدة ، وشعباً ميتاً ، وقوة

متفرقة .. انقلبت الحسنات منهم سيئات ، والملكات هلكات ، والفضائل رذائل .. الى أن لطفت بهم العناية الالهية ، ونظرتهم عين الرحمة .. فابعثت اليهم ذلك المصلح الالهي ، والطبيب الرباني ، والناصح الشفيق ، فصدع فيهم بدعوة الحق ، فوحد كلمتهم ، وجمع قولهم ، وطهرهم من عبادة الاصنام ورجس الاوثان ، وغسل عنهم درن الاحقاد والاضغان ، حتى صح فيهم قوله ـ تعالى ـ « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها » .

نعم اصدع فيهم بدعوة الحق ، وجاهد وتحمل الاذى في سبيل اصلاح الامة العربية ، حتى وحدت وتوحدت ، وحققت ربها وتوحدت فيما بينها .. ونفخ فيها من الحياة روحا جديدة ، فاصبحوا جسداً واحداً يروح واحدة ، يرمون الى هدف واحد .. اذا اصيب فرد واحد بأذى تألم له جميع ذلك الجسد ، وهو مجموع الامة .

فما كان بايسر من ان ملكوا العالم باجمعه بتلك الروح الدينية التي تحققت بينهم ، فجاءوا بمدهشات العقول .. حروبهم التي كانوا يحاربون فيها بينهم جعلوها على الاعداء ، فكان الواحد

يقابل الالف !

« غزوة بدر » كان المسلمون ٣١٣ رجلاً في مقابل ما يزيد على الالف من جبابرة قريش ، مع ما كانوا عليه من القوة والسلاح وهؤلاء عندهم سبعون بعيراً وفرسان ومع ذلك في يوم واحد ، وفي موقف واحد ، كسروهم تلك الكسرة الشنيعة . . قتلوا سبعين ، واسروا سبعين . . والاسلام يومئذ ابن سنتين . . ثم اخذوا بيده الى القوة ويده القوة حتى بلغوا ما بلغوا .

حرب « اليرموك » كان المسلمون ٣٠٠٠٠ واعداؤهم من رومانيا ومن الشام ألف ألف من المشركين ، ومعهم ملوك الافرنج . . فكان كل واحد من المسلمين يقابل ثلاثة آلاف من المشركين ! حتى غلبوهم في سنة ١٦ هجرية .

وفي عين تلك السنة يحاربون من طرف الشام القياصرة ، ومن طرف العراق في القادسية يحاربون الأكاسرة . . .

هكذا كانت قوة الاسلام ، لانهم اصبحوا في روح واحدة ، ترمي الغرض واحد ، ولكن لم تبق هذه الروح على تلك الحالة ، حتى اصبحت تضعف وتتضاءل ، وتأتي عليها العوامل المفرقة ، والسموم القتالة . . الى ان اصبح المسلمون على هذا الحال الذي تراهم عليه .

الاسلام هو الذي هذب تلك الاخلاق ، وجعل تلك الروح صخرة ايمان ويقين .

قالت طواغيت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله - في اول الدعوة : كيف نتبعك واتباعك كلهم عبيدنا - مثل بلال وصهيب وعمار - ونحن ملوك العرب وجبرات قريش ؟ فقال لهم : « افتفاخرونني يا بائكم احجار جهنم ؟! والله ليكثرن بعد القلة ، وليعزن بعد الذلة ، وسيفتحون ممالك كسرى وقيصر ، ويصير كل واحد منهم صاحب رأي ، فيقال : هذا رأي فلان وهذا رأي فلان » الحديث .

نعم ! وما مضت على ذلك بضع سنوات حتى ملكوا ممالك كسرى وقيصر ، وقذفت لهم خزائن الدنيا بكل ماتي احشائها .

الصلاح هو الذي يرفع الامة الى اوج المجد ، والفساد هو الذي يهبط بها الى حضيض الهوان .

الامة الفاسدة المبعثرة قواها لا محالة تكون طعمة للكلاب وفريسة للذئاب . الامة التي لا تحفظ كيانها ، ولا تشيد بنيانها ، ولا تعيش غيش الصلاح ، لابد وان تصير طعمة للفقر ، والقوى بالضرورة يأكل الضعيف . ولكن أنى لنا بالصلاح ، وأين المصلحون ؟!

فسدت الاخلاق فساداً يعجز عنه اعلى الاطباء ، وعادت الامة العربية الى جاهليتها الاولى يوم كان يقتل بعضها بعضاً ، . . القلوب مشحونة بالاحقاد والاضغان والدسائس . . . انقلبت المسألة رأساً على عقب ، واصبح كل منا يريد هدم الآخر ويسعى في هلاكه .

فسدت الاخلاق وسادت النيات ، فحقت علينا كلمة العذاب ، واذا قلنا الفرنسيون بعض اعمالنا الاوبال كل اعمالنا فان ذلك موكول الى يوم آخر ودار اخرى . . اذا قلنا وبال بعض اعمالنا انما نرجع اليه وتستدرك امرنا « ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » .

ولما كانت الامة العربية صالحة صحيحة ، بمجموعة كلمتها ، متحدة قوتها ، حق لها وعد ربها حيث قال : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر : ان الارض يرثها عبادي الصالحون » . .

نعم ! ورثوا الارض وفتحوا على قرني الشمس من مشرقها الى مغربها . . من الصين الى المحيط الاطلانتيق . . جيوشهم في وقت واحد مع « العلاء الحضرمي » في العراق ، ومع « طارق بن زياد » في الغرب ، حتى فتحوا الاندلس ، واصبحوا ايما ملوكا على الملوك والممالك ، اوربا تخشون الجزية والاتاوة منهم . . ولما دب الفساد فيهم ، غلبت عليهم الامم ، واصبحوا لقمة كل طامع ونهبة كل

ماضينا . ويستحيل ان نعيش ونحيا كأمة من الامم ونحن على هذا الحال التي نحن فيها . والاخلاق الفاسدة التي تخلقنا بها . اصبحنا على كثرة عددنا ملوكين ومحكومين . اذلاء مقهورين .

وادهى من ذلك كله : اننا لا نحس بما نحن فيه . تخدرت اعصابنا وكأنما ضرب كل واحد منا بعشر أبر من « المورفين » . فصرنا لا نحس بالالم فضلا من ان نأخذ التدبير لعلاجه .

نعم ! صرنا جميعا على حد ما وصفه - سلام الله عليه - : « اضرب بطرقك حيث شئت من الارض . هل ترى الا فقيرا يكابد فقرا ! او غنيا بدل نعمة الله كفرا ! او بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا ! او متمردا كأن باذنه عن سمع المواعظ وقرا ! » . . نعم سنة الله في الكون التي لا تتغير ولا تتبدل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

كل طبقة من الطبقات فاسدة . وما من طبقة الا وهي محتاجة الى الاصلاح . كل طبقة في نفسها اصبحت منحلة . . اخلاقها سيئة . مدارکها منحلة . لا تعرف رشدها . ولا تهتدي الى سبيلها . ولا تدري كيف تعيش وكيف تحيا .

هذا العالم الاسلامي العظيم الذي يكاد يملأ نصف الكرة . . « ٤٠٠ مليون » او « ٦٠٠ مليون » لو يرتبط ويتفق . بحيث يشعر

بشعور واحد ، ويعيش بروح واحدة . . هل كان يعقل ان هناك قوة تقابله او تتغلب عليه ؟ . . كلا ! وهيهات !

ولكن اني لنا بذلك ونحن لا نقدر ان نتفق مع اخينا ، ولا نستطيع ان نتفاهم مع صديقنا او جارنا ؟! . . أهل بيت واحد لايتفقون ولا تكون فيهم روح واحدة يتبادلون في المنفعة ويشتركون في الفائدة ويدافع بعضهم عن بعض ، فكيف بذلك العالم الشاسع الاطراف ، الواسع الاكناف ، المشحون بالبغضاء والعداوات ، والخصومات والمنازعات ، على اوهام فارغة وتخيلات واهية . . . لا صدق ولا امانة ، ولا تعقل ولا روية . . نختصم في كل شيء ، وليس لنا من الامر شيء ، ولم يبق بيدنا شيء يستحق المنازعة .

اجدادنا العرب جاؤا الى الخليفة « عمر بن الخطاب » بثياب كسرى وحلله وعرشه ، وتيجانه من الجواهر واليواقيت ما يختطف الابصار ويدهش الافكار ، فتعجب الخليفة من ذلك وقال : « ان امة تؤدي مثل هذا ولا تخون شيئاً منه لأمة امينة يوشك ان تغلب على سائر الامم » . .

كانوا يؤتمنون على تلك النفائس العظيمة . . ونحن لا نؤتمن على اعراض اخواننا ، ولا على اموالهم ، ولا على شيء منهم . . . ونخونهم في كل شيء . . ويرمي كل واحد منا اخاه بالعظائم ،

ويقذفه بالفظائع ، من غير ذنب ولا جناية ! . . ذهب المتاع ، وبقيت الخصومة والنزاع . .

تنازع اثنان على خرج في فلاة من الارض ، فصارا يتضاربان ويتلاكمان والخرج مطروح بينهما . . فجاء سارق فسرق الخرج وولى ! . . وبينما هما مشغولان بالتضارب والتسابب ، اذ التفتا فلم يجدا الخرج ، فكان حظهما الملاكمة والمخاصمة ، والسارق اخذ الخرج غنيمة باردة . . . وهكذا نحن ايها المسلمون ، قد تخاصمنا وتشاتمنا ، وكانت الغنيمة لغيرنا .

ايها الناس !

الناس اخذ « الخرج » . . فعلام هذه النزاعات والخصومات ، والبغضاء والعداوات ؟ . . علام هذا التضارب والتنافس ؟ . . كل واحد منا يملأ قلبه حقداً وحسداً على اخيه !

ايها الناس !

الوعاظ والذاكرون والخطباء يخوفونكم من نار جهنم في الآخرة ، ومن اغلالها وسعيرها وسلاسلها وحياتها وعقاربها . . وانا احذركم من نار جهنم في الدنيا . . هي نار العداوة والبغضاء تلك « نار الله الموقدة ، التي تطلع على الافئدة » . . نار العداوة في الدنيا هي التي تتكون منها نار جهنم في الآخرة . . النعائم هي

الرجعة والبدع حتى يكون رجلا عاملا يدافع اليوم ويكافح الامم.
تحدق عليكم اكبادنا يا اولادنا . مستقبلكم مظلم ، وخشتكم
وخطيا تكم مهلكة .

فلسطين والمؤتمر الاسلامى

عم البلاء ، واستحكمت حلقات المحن ، وامتد كابوس
الجمود على كل قطر من اقطار المسلمين ، واصبح الاسلام في أعز
مرتق من الحياة ، وفي معزوة من الاحتضار . ولكن الله
ـ سبحانه ـ له عناية في دينه ربما تجزأنا وتمردنا عليه ، وان
دينه عزيز عليه .

على طنب جزيرة العرب ، وفي الجانب الغربي منها ، امة من
الناس ، لسانهم لساننا ، ودينهم ديننا ، وكتابهم كتابنا ، وقبلتهم
قبلتنا ، والدم الذي يجري في عروقهم من دمنا ودم آبائنا ـ قد
نشبت بهم منذ سنين اظفار « الصهيونيين » وحالف الاستعمار ،
وقعوا بين هذا وذاك ، بين كابوسين ، بل بين طابقين من نار ، ،
في اسبوع ثلاثة آلاف عائلة من المسلمين ـ او اكثر ـ بلا مأوى
ولا مقر ، . احتلت الصهيونية اراضيهم ، واستولى الاستعمار

التي تعيد في القبر عقارب وأفاعي . . . الضغائن والاحقاد هي السكاكين التي قطعتكم ومزقتكم وجعلتكم طعمة للاغيار . هذه الاخلاق الذميمة في الدنيا . هي عين نار جهنم في الاخرة . الاعمال تجسم ، والاخلاق تصور ، كل واحدة بما يناسبها .

« الذين يأكلون اموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً » . . نعم ! مال اليتامى اليوم هو عين النار غداً .

ايها الناس !

يوم الدنيا يوم العلى ويوم الآخرة يوم النشر .

النواة في عالم العلى نواة وفي عالم النشر شجرة ، وقد انطوى في النواة كل ما في النخلة من سعف وجريد وتمر وغير ذلك . .

وهذه الاخلاق الرذيلة ، التي تبعثنا على الافعال الذميمة المنطوية فينا ، تظهر في يوم النشر حيات وعقارب ، واغلال وسلاسل ، تكون اطواقاً في اعناقنا . . . هي النار والسعير والسلاسل والاغلال حقيقة لا مجازاً ، يقول جل شأنه : « ذوقوا ما كنتم تعملون » . . . ومنشأ كل تلك الرذائل هي الحرص والجشع والتهالك على الدنيا ، وكله ينشأ من عدم الثقة بالله ـ عز شأنه ـ .

تريدون النصائح وهي موقوفة على ابداء الحقائق وذكر

السيئات والمعايب ، واخشى ان يديك الستار ، ويرتفع الحجاب ، ويظهر العار . كل واحد متاحيله على غدره ، لارادع ولامانع ، ولا هادي ولا مرشد . . واذا عم الشر على البشر هلك الجميع .

هذه صفاتنا واحوالنا النفسية . اما اعمالنا من حيث السرف والبذخ والتبذير ، فهو الداء العضال الذي قتلنا . فلو كان هناك نفوس شريفة ، وعلو همة ، ورجال عزم واباء ، وفتيان شهم وشهامة ، لنسجوا والله ثيابا من « خوص النخل » واستغنوا بها عن الملابس الاجنبية ! . . وهل الذل والعبودية الا الحاجة ؟

« احتج الى من شئت تكن اسيره » . . كيف اشتري وادفع روحي وحياتي الى الاجنبي ؟ !

« درهمك دمك ، فلا تجره في غير عروقك » .

ذهب عزنا يوم صرنا محتاجين الى الاجانب في كل شيء حتى « الخيط والابرة » ، ويوشك ان نحتاج اليهم حتى في الخبز والماء . سقط العراق ، كما تعلمون ، في اعمق حفائر الفقر والفاقة ، « ذهب الذهب وذهب كل شيء » . . فالتجارة خسارة ، والزراعة اضاعة . . وأي حياة لبلاد لاتجارة فيها ولا ارباح ولا زراعة ولا صناعة ؟ !

الشبان

ايها الشبان !

ايها الاولاد ! . . . ايها الاكباد ! . . يازهرة البلاد ! . . . المستقبل لكم ، والبلاد بلادكم . نحن على وشك الرحيل وانتم الخلف . ما هـذا البذخ والترف في الاموال التي تسمونها والكماليات ، وهي عين النقصيات ؟ اكل اوضاعكم سرف وتبذير ؟ ما هذه الربطة التي تضعونها في العنق ؟ . . هي والله رباط الذلة ، هي رباط العبودية . . . ما هذه السفاسف والزخارف ؟ . . . لو انكم تجمعون تلك الاموال التي تبذلونها لهذه الامور التافهة ، وتتفرغون بباتيك الفضول ، لاجتمع عند المسلمين اعظم ثروة ، تستطيعون بها تأسيس مدارس عالية ، وكليات اسلامية ، تغنيكم عن الهجرة الى بلاد الاجانب التي تمتص اموالكم ، وتفسد اخلاقكم ، وتمحق اديانكم . اما كان احق بكم واحرى عوض تلك الزخارف ان تجمعوا اثمانها لمستشفيات تحفظ صحتكم ، وصحف تنور شبابكم وتثقف عقولكم ؟

الاسراف والتبذير

ناهيك بالسرف في المأكولات والمشروبات . عما تجلبونها من الاجانب . . . كلما نسعى على هلاك انفسنا من حيث ندري ولا ندري ، وبهذا صار كل قطر من اقطار المسلمين يئن من مخالب الاستعباد ، ويرزح تحت نير الاستعمار . . والمسلمون ضعفاء في اوطانهم ، اسراء في نفس بلادهم ، اذلاء في عقر دارهم .

العز في الثروة ، فاذا ذهبت الثروة ذهب العز ، وما ملك الغرب الشرق الا بالصنائع ، وامتصاص ينابيع الثروة منه .

ودينا الشريف جاءنا بكل الصالح التي تعود علينا بالثمرات وابان لنا ضرورة الاقتصاد . . . « ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين » . « ولا تبسط يدك كل البسط » .

أليس الامام زين العابدين ـ عليه السلام ـ يقول : « اللهم متعني بالاقتصاد ، واجعلني من ادلة السداد ، ومن صالحي العباد ، وامتعني من السرف ، وحسن رزقي من الكفاف ، واقبضني عن التبذير ، وعلمني بلطفك حسن التدبير ، واجرني من اصياب الخير لرزقي ، ووجه في ابواب البر انفاقي . . اللهم سن وجهي بالبسار ،

ولا تبتذل جاهي بالافتقار ، فأسترزق اهل رزقك واستعطي شرار خلقك ، فانني بحمد من اعطاني ، وابتلى بذم من منعني ، وانت من دونهم في الاعطاء والمنع . . . .

ايها الشبان !

البذخ جنون ، والتبذير تدمير ، والسرف تلف ، والتدبير عز وبركة ، اذا بقينا بهذا الفقر وبهذه الذلة متى يمكننا النهوض ؟!

ايها الشبان !

مهما كان الامر فعليكم المعول ، والمستقبل اليكم ، وانتم داخلون ، اتدرون ماذا تعملون ؟ وفي اي اودية تهبطون ؟ . .

حق يرجى بالولد ان يكون من رجال الغد . . رجل حق وصدق ، رجل نشاط وعمل . . وهو يقف ساعة امام المرآة كل صباح ومساء ، بين الاصباغ والادهان ، والزينة ، ونتف كل شعرة من وجهه ، حتى يبدو بهذا التخنث والتأنث ، وكأنه بنت مبرجة ! افبهذا تريدون ان تسموا رجالا يواصل كاصلائكم الاقدمين الذين فتحوا الفتوح ، وملكوا الملوك ؟ !

يجب على الرجل ان يكون صلباً خشناً ، يسمو الى معالي الامور ويتمرد على المصاعب . . لاهل الترف والنعيم ، اذا لم يتمرد على مكافحة المصاعب لايكون رجل صدق وزعيم حق ، واذا تعلم على

الغاشم اموالهم ، واجلوا الى شعف الجبال القاحلة ، حيث لازرع ولا ضرع .

الصهيونيون يبذلون لهم الأموال فيشترون اراضيهم ، ويعدونهم بايقافهم فيها ـ لفلحوا وحرثها ـ . . ثم بعد قليل يطردونهم . . والضرائب الباهضة من وراء ذلك يستنزف تلك الاموال . . فيصبح اولئك المساكين لا ارض ولا مال ، ولا مقر ولا مفر !

فلو كان المسلمون امة لها قوة ومنعة ، وكالجسد الحي الصحيح الذي يتألم بعضه لبعض ، لكنا نغار عليهم ، وندافع عنهم بكل ما في جهدنا ، ولكن من اين واني ونحن كناقض الشوكة بالشوكة وصلبها معها ؟ ! اريد ان اداوي بكم وانتم داني !

نعم ! هناك رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه . . فنهضوا نهضة الاسد الخادر ، ووقفوا سداً منيعاً عن ان يعرف ذلك التيار صروح الباقين ، واستغاثوا باخوانهم المسلمين من اطراف الارض فحضر ثلة من فطاحلهم في « المؤتمر الاسلامي » الذي بعث الله فيه من روحه ونشر عليه منه جناح بركة ورحمة . . ذاك حين علم ـ جل شأنه ـ بما انطوت عليه جوانح الداعين والملبين من روح الاخلاص والحمية ، فنصرهم لما نصروه ، ووازرهم لما وازروه ، ولينصرن الله من ينصره . . « وكان حقاً علينا نصر

المؤمنين . . . فتقدم المؤتمر بنجاح لم يكن بالحسبان ، ونقلت كل المساعي والدعايات التي وضعت في سبيل احباطه وفشله من « مستأجري الصهيونية » واذناب الاستعمار وابواقهم . . . وكذا اذا اراد الله امراً هيأ اسبابه .

وما كانت اعمال المؤتمر ، وجهود اعضائه ، وحكمات مقرراته ، تخص بالفائدة اهل فلسطين فقط ، بل هو لصالح المسلمين اجمع ، في جميع اقطار الارض .

نعم ! غرس طيب غرسناه لكافة المسلمين في تربة طيبة ، فان احس المسلمون واحسنوا القيام بواجبهم نحوه ذلك الغرس وتعهدوه نما واثمر واتى اكله شهياً طيباً ، ونال الجميع حظهم منه ، وان تركوه واهملوه كما كان الغالب في سائر اعمالهم — لاسمح الله — قضى عليه في مهده ، واصبح كان لم يكن شيئاً مذكوراً . . وهناك الخزي والعار على المسلمين عند سائر الامم ، ولا تقوم لهم قائمة بعد هذا ابداً . . فلينظروا لانفسهم ، فهذا هو الحد الفاصل بين الموت والحياة .

مايلزم المسلمين

من الجمعيات وجمع المال

انظروا المستقبل ايها المسلمون !

تداركوا امركم ، وانظروا مستقبلكم ، واجمعوا شملكم .

هاتيكم الدول كلها منذ فرغت من الحرب الكونية الى اليوم ما انفكت تجمع قوتها ، وتوفر اموالها ، وتشحذ اسلحتها ، وتزيد عددها وعدتها ليوم مشئوم على الفرق ، بل على العالم اجمع . ولا ادرى اقريب هو ام بعيد . ولكن الساعة وتوابع الرجال يتنبأون بحرب عالمية كبرى ، ولا محالة ستكون اعظم من الاولى . . . افلا يتحتم عليكم ان تنظموا صفوفكم ، وتصلحوا شؤونكم ، وتوحدوا كلمتكم . . حتى اذا دهمكم البلاء اتاكم واتم على بصيرة من امركم ، وعدة واستعداد من معرفة مصيركم ؟ . . . قد تسرب الفساد الى جميع الطبقات ، وكل طبقة تحتاج الى الاصلاح ، سنة الله في الكون التي لاتتغير ولا تتبدل .

« ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم » .

والاصلاح لا يتسنى الا بتشكيل نقابات . . وهي تحتاج الى هيئة عامة مشرفة ، تتصدى للتنظيم ، وتجعل لكل صنف هيئة تنتخبها لتدير شؤون ذلك الصنف ، وتسعى لاصلاحه وجلب مصالحه ، ودفع الاخطار عنـــه ، واصلاح ذات بينهم ، وحسم ما يقع من الخصومات بين افرادهم ، والسير بهم الى المساعي النافعة والاعمال المثمرة ، وجمع مقدار من المـــال للكوارث والبلايا التي تنزل بهم من غير حسبان .

فلو ان هـــذه البلدة الطيبة ، التي دعانا املها لزيارتهم ، وساعدتنا العناية بهم على اجابتهم . . يجمع في كل يوم من كل فرد ربح « آنه » اي في الشهر نصف « ربية » لوجدوا كم يجتمع في السنة عندهم من المال ، الذي يتمكنون به من انشاء المشاريع الخيرية النافعة لهم ، ولا يتصور باذل هذا المبلغ الزهيد انه يدفع المال لغيره ، بل فليكن على يقين انه يجمعه لنفسه ، وهو كمستودع احتياطي له ، يعود بالنفع عليه وعلى اخيـــه وجاره ووالده وارحامه وقومه .

نعم ! يحتاج هذا الى نهوض جماعة من اهل الهمة والنشاط ، ومن ذوي الشخصيات اللامعة ، ليجمعوا المال بحنكة وحكمة وامانة وحسن تدبير . . فلو عملوا على هذه المناهج لاجتمع عندهم

من القليل كثير ، وامكنهم بهذا ان يساعدوا « المؤتمر » وغيره المؤتمر ، وكل شيء .

وربما بلغت الازمة والضعف باهل العراق ، فانها لا تبلغ الى العجز عن بذل تلك المبالغ الزهيدة وذلك المقدار اليسير ، الذي لا يكاد يحس . . . على ان دفع المقادير الكثيرة على العمل المهم العالية ليس بكثير .

كان في « الاستانة » جامع منهدم في بعض محلاتها البعيدة المهجورة ، لذلك ابت الحكومة عن بذل المصارف لتعميره ، فنهضت الحمية برجل من المسلمين ضعيف الحال ، أخذ العهد على نفسه ان يجمع ثمن كل مايمكن الاستغناء عنه من لباس وماكل ومشرب ، ويجعله في صندوق لاسبيل الى فتحه . . فكان اذا اشترى فاكهة ـ مثلا ـ او ثوبا جديداً أو نحو ذلك منع نفسه عنه وطرح ثمنه في الصندوق ، وبعد مرور سنتين او ثلاث اجتمع في الصندوق مال كثير ، فأخرجه وبنى به ذلك الجامع بناء فخماً ، ووضع على بابه صخرة كبيرة مكتوبا عليها باللغة التركية : هذا جامع « كاني اكلمه ، كاني شربته ، كاني لبست » !

العمل والنشاط

العمل العمل . . ايها الناس !

فوالله ما ترقى العرب الذي ملك العالم الا بالعلم والعمل ! وما سقط الشرق وتأخر الا بالجهل والكسل ، والخلاف والجدل .

الخلاف هو الذي يهدم الرأي ، ويهلك الامة . . النزاعات هي أفتك القتالة المهلكة ، ولاشغل لنا سواها ، وكلها على اوهام خيالية فارغة عكس ما امر الله ـ سبحانه ـ به ، وما يأمرنا به الشريعة السمحاء المهذبة للاخلاق ، الكفيلة باقتلاع كل الجراثيم التي تفضي بهلاك الانسان وهلاك امته .

ان شريعة الاسلام جمعت السعادتين ، سعادة الدنيا ، وسعادة الاخرة ، واخذت بالعدل ، وزادت عليه بالعفو والفضل . . . « الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين » ، « ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وزين العابدين ـ سلام الله عليه ـ يقول في دعاء مكارم الاخلاق من زبور آل محمد : « اللهم صل على محمد وآله ، ووفقني لأن اعارض من غشني بالنصح ، واجزي من هجرني بالبر ، واكافي

من قطعن بالصلة ، واخالف من اعتابي الى حسن الذكر » .

اما نحن .. فقد عكسنا هذه القواعد الذهبية ، وصرنا نجازي من نصحنا بالغش ، ومن برنا بالهجر ، ومن وصلنا بالقطع .. وكلما اصابنا فبما كسبت ايدينا ، وتدارجدنا المصلحون .. ولكن نحن العابرون والمضيعون .

الحفاوة والحفلات

وجدنا من المسلمين في سفرتنا هذا من العراقيين وغيرهم من اهالي « فلسطين » و « سوريا » من كل من مررنا عليهم .. اكمل الحفلات ، واكرم الحفاوات ، وجدنا منهم الشعور الرقيق ، والتأثر العميق ، والسخاء العربي ، والخفة الاسلامية ، وكلما يرق ويروق للناظر والسامع من هذه الطلائع . ولا شك ان مساعيهم مشكورة ، واجورهم عنده ـ تعالى ـ مذخورة .. ولكن هل في شيء من ذلك ما يشفي العلة ويرد العلة ؟

ان الذي يراد من المسلمين ، والذي يجب ان يسعى اليه الجميع ، هو العمل المنتج ، العمل المثمر ، العمل الذي ينفعهم في الدارين .

لا نريد حفاوة ولا تكريماً ، ولا تجلة ولا تعظيماً . . نريد ان تكونوا رجالا اشداء على الاعداء ، اقوياء في عزائمكم ، رحماء فيما بينكم . . امة صحيحة صالحة ، واسود مجد وسؤدد يحامي بعضهم عن بعض . . . هذا الذي يسرنا منكم ، هذا هو الذي ينعش قلب الرجل الناصح ، ويطرب سمع المجاهد المخلص . . اما هذه الحفاوات ، فماذا انتفع بها انا ، وماذا تنتفعون انتم بها؟

اريد ان تكون الابناء كالآباء في النخوة والاباء ، والاولاد كالاجداد في الحزم والسداد ، والخلف كالسلف في العز والشرف . ضحك لهم الدهر وعبس علينا ، وما ادري احسن اليهم واساء الينا ، ام كل ذلك مما جنيناه على انفسنا ؟ !

عبس لنا وجوه الدهر حتى تناهشنا باثياب حداد
فلا ندري السقوط باي غور ولا ندري الهبوط باي واد
وكنا نجتني ثمر المعالي فصرنا نجتني شوك القتاد!!

أيليق بامثالكم ان تغمرهم الفترة ، وتمر عليهم السنوات وهم في سنة الغفلة ؟ . . الا تبعثكم الشهامة ؟ . . الا تحفزكم الكرامة وانتم سلائل اولئك البواسل الفاتحين الذين فتحوا هذه الممالك واوجدوا لكم هذا العز العظيم ؟

يا أهل شريعة الكوفة !

قد اجبنا دعوتكم ، ووفينا بوعدكم ، وانتم تطلبون منا مواعظ ونصائح ، ولا اجد جزاء لكم وعاطفة عليكم الزم واهم من ان انصحكم في شيء واحد ، اوصيكم - وكل المسلمين - بصفاء القلوب ، ورفع الحزازات والبغضاء ، وتعاطف بعضكم على بعض ، بحيث تكون لكم وحدة وتضامن ، وتتوثق ما بينكم عرى الاخوة وروابط المحبة . . اجتمعوا واجمعوا المال لليوم الاسود الذي سيغشى العالم لاعالة . ساعدوا الضعيف ، ارحموا اليتيم ، اقيلوا عثرات ذوي المروءات ، وتفدوا بيد من زمام الدهر بنكبة من النكبات .

ايها المسلمون !

دين الاسلام دين الفطرة ، دين الرحمة والبركة ، دين العلم والعمل ، لا دين البطالة والكسل .

الاسلام دين التوحيد ، يعني يوحد الله في العبادة ، ويوحد المسلمين في الاخوة .

الاسلام يوثقة تذوب عندها العناصر . . . الكل سواء بالنظر الى الحق والعدل .

دين الاسلام كيميادي يوحد العناصر المختلفة . . العربي ، والفارسي ، والهندي ، والتركي . . . وكل البشر سواء . اي دين

جاء للبشر بهذه السعادة ؟ .. « انما المؤمنون اخوة » ، « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا بينكم ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » .

اذا اردت ان تتزعم وتترأس اخدم امتك ، اخدم وطنك ، فان الزعيم المحبوب خير من الحاكم المرهوب .

الزعيم المحبوب هو من يخدم امته ويخلص لوطنه وقومه ، من يدافع عن كلمة الحق ، من يثبت على مبدئه ، ويسير لمصلحة بلاده . ليس الزعامة بالدعاوى والفحائح .. اخدم تجد خداما .

ايها الناس !

انا داعي الله ، انا داعي الحق .. انا داعي الوحدة .. انا داعي الصلاح والاصلاح .. اخشى بدعوتي هذه وفي مقامي هذا ان تقم عليكم الحجة .. اذا لم تنشطوا للعمل يقرع الله عنكم البركات ، ويرفع الخيرات ، ولا يكون لنا في السماء عاذر ، ولا في الارض ناصر .

السياسة والاصلاح

انا لا اؤيد السياسة ولا اعارضها .. لا اؤيد ولا انقد .. ولا امدح ولا اذم ... ولا زلت اقول : ان السياسة جمرة نار احسبها

ولا آلسها . . اراها بعيني ولا امد لها يدي . لا اقول هذا خوفاً وجاملة ، ولا طمعاً ولا رجاء ، فان الله ـ سبحانه ـ قد عافاني من رذيلتي خوف الناس ورجائهم . . من كان قوى الثقة بالله لا يخاف ولا يرجو الا الله . . . ولكن اقول ذلك علماً واجتهاداً ، ويقيناً واعتقاداً .

كان السيد الافغاني ـ رحمه الله ـ يقول :

« الاحزاب السياسية للأمة نعم الدواء ، ولكنها في الشرق تنقلب غالبا الى شر داء » .

ومعنى ذلك : ان الاشتغال بالسياسة لا ينفع الامة الا اذا كان منبعثاً ومشبعاً بروح الاخلاص ، والاخلاص عزيز .

السياسة مع المطامع داء ، ومع الاخلاص نعم الدواء . . . هذا مع اني اعتقد ان الامة لا تسود الا اذا كانت آراء المعارضين محترمة لديها مقدسة عندها ، والحقيقية حالة الجميع ، واعلمها في جانب خصمك اكثر مما في جانبك .

فاجتمعوا وتحابوا وتفاهموا ، عساكم تصيبوا الحقيقة .

يلزمنا ان نصلح انفسنا قبل كل شيء . كيف نأمل ان نصلح الممالك والحكومات ونحن غير صالحين ؟ ! نحن بعدم نصلح شؤون بيوتنا ، واخلاق عائلاتنا واولادنا ، ونأمل بلادنا . . .

فكيف نستطيع اصلاح غيرنا ؟ . لنصلح انفسنا ، ونعلم ابناءنا واهالينا .

اننا اذا اردنا ان نعيش امة حية قوية ، حرة غنية ، يلزمنا ان نطيش من عزل ايدينا ، ونأكل من نتائج اراضينا ، ونستغني عن مصنوعات غيرنا بجهد امكاننا .

هل الاسر والعبودية الا الحاجة ؟ . . ونحن في كل شيء محتاجون الى غيرنا (الصغيرة والكبيرة) . . وكل ذلك من ضعف الارادة ، وقصور الهمة ، وتفتت الكلمة . الاخ مع اخيه ، والوالد مع ولده ، وكل قريب مع قريبه غير متفاهم ولا متصافي . . القلوب مشحونة بالبغضاء والشحناء على اوهام لا وجود لها وتخيلات لا حقيقة فيها !

كان لرجل بستان خرج منها الى داره القريبة منها ، وبينما هو راجع من بيته لبستانه ، فاذا برجل خرج من البستان راكضاً خائفاً وجلا ، فقال له صاحب البستان : ما دهاك ايها الرجل ؟ وما هذا الخوف والاضطراب ؟ فقال : دخلت هذا البستان لاستريح قليلا واذا به مملوء بالضباع ! . . فاستغرب البستاني ذلك ، اذ قد فارقه قريباً ولا شيء فيه . . فقال له : كم عدد ما رأيت فيها من الضباع ؟ قال : مائة على الاقل ! فقال له : اخبك

مضيها . فأمل جيداً . فتنازل الى الخمسين ... ولم يزل البستاني يشككه ويأمره بالتدبر والتروى الى ان قال : اما الواحد فلا شك فيه . وقد رأيته الآن بعيني ! فقال البستاني : نعم هذا جائز فهلم معي الى البستان كي تدلني عليه ولا تخف . فدخلا البستان واذا على شجرة منها عباءة سوداء منشورة . فظنها الضعيف الغلب حيواناً . ثم غلا في وهمه وجعل الواحد مائة !!

وهكذا نحن يعمينا على بعض . نسيء الظن باخواننا ثم نجعل الواحد مائة . . وفي الحقيقة لا واحد ولا مائة . ويشيع الواحد منا على اخيه العيوب والمخازي ولعله برىء منها جميعاً . . مع ان الله سبحانه امر بالستر ونهى عن اشاعة الفاحشة .

ايها الناس !

قد بذلت لكم النصائح ، ودللتكم على العلل والامراض ، وشخصت لكم الداء والدواء . ولا اريد بذلك جاهاً ، ولا مالاً ، ولا زعامة ، ولا كرامة . انما يفضل الله تعالى عن ذلك . . ولكن الذي يسرني منكم واعده السعادة لي ولكم ان تدفعوا الى العمل والشروع في المشاريع النافعة ، ولا تتواكلوا ، ولا تتخاذلوا ، فحسبكم ما مر وجرى عليكم . واعلموا ان القول وان كثر ، والوقت وان طال ، ولكن ما تكلمت الا من ناحية من نواحي

الحقيقة وحواشيها دون التصميم والصريح منها . والحقايق كلها مطوية لاسبيل الى بيانها .

النفة مفقودة ، والالسن معقودة ، والعقول معقولة ، والايدي مغلولة . . فماذا يقول اللسان وهو معقود بالف عود . .

اقول وقد شدوا لساني بسبعة أعسر تيم اطلقوا لي لسانيا

ولكن ربما تسألون : ماذا كانت النتيجة والغاية من كل تلك الكلمات وصرف ساعتين من الاوقات . . فالجواب المختصر الكافي : ان كل امة لها حس وشعور فهي لامحالة تطلب سعادتها . . ولا تحصل السعادة الا بوسيلتين ، ولا تقوم الا على دعامتين : « الاتحاد والاقتصاد » اذا اتحدتم سعدتم ، واذا اقتصدتم سعدتم . اذا اتفقتم وفقتم ، واذا اختلفتم تلفتم .

نحن محتاجون الى الاقتصاد في كل شؤون الحياة ، وفي جميع اعمالنا واحوالنا . وليس المراد بالاقتصاد حبس الاموال في جميع الاحوال ، بل الاقتصاد الحرص على جمع المال من حيله المشروعة ، وحبسه عن الانفاق الا في مواضع الشرف او الضرورة . . . . الاقتصاد انفاقه في مواضع الشرف لا مواضع السرف والترف والشهوات البهيمية ، احرص عليه في موارد السرف ، لتنفقه في موارد الشرف . اين السامعون العاملون ياحسن ما يسمعون ؟ ! . . جعلكم

الله من الذين يقول فيهم - جل شأنه - : « فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » . ولا يجعلكم من قال فيهم : « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » . والكثير من الناس وان صاروا على هذا الحال وبهذه الصفة ، ولكن لا يأس من روح الله . وأرجو ان يكون لكلماتي اثر في نفوس القوم . لاني اتكلم - كما يعلم الله - بروح شفقة واخلاص وحنان ورحمة ... اتكلم معكم عن قلب .. والكلام - كما قيل - اذا خرج من القلب دخل في القلب .

ايها الناس !

انا النذير العريان .. انا النذير المجرد من كل غرض وغاية سوى غاية خيركم وصلاحكم ... لذا املي قوي ان كلامي هذا سوف لا يذهب - بتوفيقه تعالى - ادراج الرياح ، ولا يعود - كما يقال - صيحة في واد ، ونفخة في رماد .

واملي ان يكون تأثيره في « النجف » التي هي بمنزلة الدماغ المفكر من العراق ، وفي « شريعة الكوفة » التي هي بمنزلة الكف والساعد من النجف .

ايها الناس !

انا كما تعلمون « رجل روحاني » .. لست بخطيب ، ولا واعظ ، ولا ذاكر .. ولا استطيع كل يوم ، بل ولا كل شهر ، ان

اقرع سمعكم واسمع جمعكم بامثال تلك الكلمات الرائعة والنبرات اللاذعة ، وانا عند نزولي عن هذه الاعواد سوف اعود الى اعمالي الدينية ووظائفي الروحانية ، من التدريس والصلاة والفتوى ، وارجو ان تشتغلوا انتم بالاجتماع والمفاوضة ، وتعيين الخطط والمناهج .

والله ـ سبحانه ـ يسعدكم ويساعدكم ، ويأخذ بايديكم الى سبيل النجاة والنجاح ان شاء الله .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطب الاربع

الخطب الارتجالية الاربع التي
تفضل بالقائها سماحة المصلح العظيم ،
حجـــة الاسلام والمسلمين ، الامام
الراحل ، الشيخ محمـــد الحسين آل
كاشف الغطاء على جماهير « العشار »
و « البصرة » و « الحلة » و « النجف
الاشرف » بعد عودته من ايران .

وقد طبعت هذه الخطب في كراس مستقل تحت عنوان
« الخطب الاربع » بمطبعة الراعي في النجف الاشرف
سنة ١٣٥٣ هجرية

تقليد سم

بلية الأمم في ادوائها الاجتماعية التي تتحدر في جسمها كتحدر السوس في جذع الشجر ، وتزداد هذه الامراض بتقادم الزمن ومرور الاعوام عليها ، فتصبح اذ ذاك امراً يصعب استئصال شأفته وقطع جذوره ، لانها تكون متينة الاساس قوية الاركان ، فتصير كصفة طبيعية وغريزة نفسية لايسع المجال للقضاء عليها . اما اذا تهيأ لها الانسان بادىء ذي بدء ، واعد العدة قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، فذلك امر محمود ، لانه يسهل الطريق ، ويوفر الزمان ، ويريح الامة قبل ان يتمكن منها المرض ويزمن الداء ويصعب الدواء .

ذكرنا هذه الكلمة لنعود بها الى امتنا التعيسة النكدة التي ابتليت بالعلل والاسقام منذ زمن غير قليل ، فكانت علتها الاجتماعية هذه تهبط بها الى دركات الذل وحمأة الشقاء ، وهي لاتشعر بمآسيها من جراء ذلك ، لانها تخدرت واستسلمت للقضاء والقدر استسلام الرجل المشفي على الموت ، فلا يرتجى الشفاء الا

بالسعادة ، ولا الصحة والعافية الا عن طريق الهلاك .

سارت امتنا في هذا الطريق ولكنها سارت من دون ان تبصر ، وتحركت من دون ان تشعر ، ولا قائد هناك يقودها ، ولا مرشد يرشدها . وشأنها في هذا شأن كل امة هوت الى حضيض الشقاء ، حيث تبقى تلك الامة سائرة على ما هي عليه حتى يقيض لها الله من ينتشلها من هذه الهوة السحيقة ، ويأخذ بها في طريق السعادة ويسقيها من رحيق الحياة المختوم ، فعند ذلك تفتح عينيها من اغماءتها ، وتصحو من سكرتها ، وتعد العدة لنفسها ، وتسير متتبعة الطريق التي رسمها لها منقذها ، منقذة الحقة التي سنها لها مرشدها .. حينئذ تبدأ الحياة من جديد ، وتعيد مجدها الماضي .

لو ألقينا نظرة بسيطة مختصرة الى امم الغرب ، كايطاليا وما اصابها بعد سقوط عاصمتها روما سنة ٤٧٦ م ، لرأيناها تتخبط تخبط العشواء في جنح الليل البهيم الى ان هيء لها من سعى لصلاحها واجتهد في ارشادها ، وكذلك كان لها مازيني وكافور ومن بعدهما غاريبالدي وعمانوئيل .

اما المانيا فانها قبيل حرب السبعين كانت منقسمة الى المانيا الشمالية والمانيا الجنوبية ، ولكن بطلها « بسمارك » لم يرض بذلك فاخذ بيدها الى اوج الوحدة .

وكذلك فرنسا فانها لم تتخلص من قيود اباطرتها وتيلاتها الا بعد ان قيض لها من انتشلها، امثال فولتير، وميرابو، وروبسبير، ودانتون وغيرهم.

اما العرب فحدث عن جاهليتها قبل الاسلام ولا حرج، ثم من الله عليها بهذا الدين الحنيف الذي صعد بها الى اوج المجد، ثم سرعان ماعادت الى شبه جاهليتها الاولى، وفي تلك الفترات التي تاهت بها امتنا كان الله يرسل لها في القينة بعد القينة من ينشرها ذلها، ويذكرها حالتها، وكان شيخنا الحجة في هذا العصر، وحيد زمانه وفي اوانه، لم يزل ولن يزال يسعى في اصلاح هذه الامة وفي رقيها، جازما براحته معتمياً كل غال لديه في تشخيص ادواء هذه الأمة وتحضير الدواء لها، فكان من الاطباء النطاسيين الذين فازوا بالنجاح بعد التجربة، وتوصلوا بعد الشقة وضعف الشعور بالوحدة، لم تضعف عزيمته او تقل همته، بل لم يزل يدأب على معالجة ادواء الامة المزمنة منها والموقتة، يشخص الداء بمنظار العقل والاخلاص والمثابرة، مركباً الدواء التركيب الكيمياوي الذي به خير الامة وعلاجها.

لم يزل شيخنا منفرداً من اقرانه، يقوم بالرحلات ويخطب الخطب ويقول المقالات، يحض الامة، وينصح افرادها باتباع

طريق السداد ، والسير في منهج الرشاد ، يفضل المصلحة العامة على كل مصلحة تخصه ، يفرغ من جهة ويتحول الى اخرى ، لا يكل ولا يمل ، كأن الله قد زوده بروح منه ، فسار والهدف امامه ، متخذاً ارادته القوية واخلاصه الكريم وتجاربه الحكيمة خير ساعد ومعين ، فلا زالت مواقفه الشريفة في العراق ، والشام ، وفلسطين ، ولبنان ، والحجاز ، وايران ، ومصر كلها تبرهن على ما بذله في سبيل ترقية امته ، والقيام بواجبه الملقى على عاتقه ، متتبعاً ، ومتقياً عن النواقص ، متطلباً الشفاء لها ، فكانت لنهضته هذه صدى رددته الصحف العربية ، ورجع رجعته الاندية العامة والخاصة ، وهو يثابر مخالفاً الله على ان يخلص لامته مهما كلفه الامر ، ومهما حاول بعض المرائين من الحط في عزيمته ، وكانت رحلته الأخيرة التي جاب بها بلاد ايران وكر راجعاً الى وطنه مملوءة بالعظات الغالية والنصائح الثمينة والآثار الخالدة ، فكان كلما يحل ببلدة من البلدان يزود اهله بالكلمات الشريفة والخطب الارتجالية البليغة ، حاضاً اياهم على التمسك بالفضائل ، وخلع الخزعبلات والقشور ، موصياً اياهم بالتزام نصائح الشرع الاسلامي القويم ، والتضامن على الوحـــدة الصحيحة ، فكانت البصرة ، والناصرية ، والديوانية ، والحلة من تزودت بوصاياه الغالية

وكان الكتاب في اكثر المواقف يتسارعون في التقاط مايتفوه به وتدوينه ، فاجتمع لديهم مجموعة نفيسة من النصائح ، وكان آخرها ما رقى به المنبر في اواخر شهر صفر وحض امته على ترك جميع ما هو مخل بالدين ، ومضر بالأخلاق ، ومناف لما نزل به الوحي على سيد المرسلين ، والقضاء على العادات المنكرة التي يقوم بها بعض الأوباش في العشر الأولى من ربيع الأول في النجف ، وقد تهافتت الطلبات على سماحة الحجة ، راجين نشرها في رسالة يستهدون بنورها ، فتصديت انا لجمعها ونشرها ، ومال الاخصمة الشعب مقصد .

فما أحوجنا الى امثال هؤلاء الرجال في مثل هذا الوقت الذي تمخض فيه امتنا عن ظروف عصيبة ، اذ بوجودهم تنتعش وتحيا وبفقدانهم تنتكس وتموت .

وفقه الله في اعماله وسدده في خطاه انه سميع الدعاء .

٨ ربيع الثاني ١٣٥٢ هـ نوري كاشف الغطاء

الخطبة الاولى

هذا ما امكن ضبطه للكاتبين ساعة الالقاء من خطاب سماحته في « جامع القسام » في العشار يوم ٧ ذى القعدة ١٣٥٢ هـ الموافق ٢١ شباط ١٩٣٤ م. وقد ذهب اكثر من ثلثها لعدم امكان ضبطه لشدة انحدار الخطيب في الكلام بين حماسه وتهيجه .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال - سبحانه وتعالى - في كتابه المجيد : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ، انما امرهم الى الله ، ثم ينبئهم بما كانوا يعملون » .

اول حادث حدث في البشرية ، منذ فجر يومها الاول ومبدأ

تاريخها القديم ، ان قتل نصف العالم نصفه ، حيث قتل ابن أخ اخاه . ومن ذلك اليوم اخذت البشرية تقاسي آلاماً وتعاني عللا واسقاما ، ويعادي ويعتدي بعضها على بعض ، وفي كل يوم ينتشر الشر ، ويتفاقم البلاء ، وتعظم الرزية .

على ذلك تعاقبت الايام ، وسلفت الدهور ، ومضت القرون ، ونسلت الأحقاب . . واذا بالفضيلة تهبط الى الحضيض وتتربع الرذيلة على كرسيها ، فتعالى الشرور ، وتفاقم الشر ، واستحكمت العصبية ، وبقي العالم يسود فيه التباغض والتحاسد والتناكر والتفاسد ، ولا شيء فيه من التراحم والتوادد . . غنيهم يستعبد فقيرهم ، وقويهم يفترس ضعيفهم ، يغتصب كل منهم حق صاحبه ، ويشرب كل واحد دم اخيـــه ، ولكن الغاية الازلية ـ جلت بركاتها ـ لم تزل تشفق على هذا المخلوق التعيس ، فترسل اليه رسلا معالجين ، ورجالا صالحين ومصلحين ، واطباء ماهرين ، نبياً بعد نبي ، ووليا اثر ولي ، وصالحاً تلو صالح ، يهدون ويرشدون ، ويعالجون ويعالجون . . . فلم ينفع ذلك في البشر الا ماشذ وندر ، والشر على ما كان عليه .

ابتعثت العناية نوحا ، وهو شيخ الانبياء واب الرسل ، فخاطبهم بلغتهم ، واباســـح في الدعوة ، واقام عمراً طويلا ـ الف

سنة الا خمسين عاما ـ ليهتف فيهم ليلا ونهاراً وسراً وجهاراً ، داعياً الى الصلاح والاصلاح ، فلم يؤثر فيهم شيئاً . وكان عاقبة كل ذلك الطوفان ، وما استجاب له وانجاعه الا نفر قليل .

جاء ابراهيم ، وتلاه اسحاق ويعقوب ، ثم جاء موسى ـ وهو بطل الانبياء والقوي الامين ـ واعتضد بالمعجزات الباهرات ، من العصا وفلق اليم وامثالها ، فكانت نتيجة بني اسرائيل « اذهب انت وربك فقاتلا ، انا ههنا قاعدون » . واعظم من ذلك عبادة العجل والتخبط اربعين سنة في التيه .

ثم آل الامر الى عيسى الذي يدعونه بالخلاص ، فاراد ان يخلص البشرية من رذائلها فلم يفلح ولم يصنع شيئاً ، واصبحت امته اليوم شر أمم العالم واشدها في الظلم والقسوة . ثم كان عاقبة امره الصلب .

كل ذلك والبشرية يتفاقم شرها ، ويتعاظم بلاؤها ، الى ان نفحت العناية بجوهرتها المكنونة ، ولطيفتها المخزونة . . ارسل اليهم الحكيم الأعلى والطبيب الالهي الذي ما فوقه طبيب ، ارسل اليهم سيد الرسل محمد بن عبد الله (ص) ، فشخص دائها ودوائها ، وعرف العلاج الشافي لها ، والدواء الناجع الناجع لجراثومة امراضها .

عرف ان الداء العضال والمرض القتال انما هو التفرقة الناشئة من توغل الانانيات والعصبيات الباعثة على التفاخر ثم التنافر فالتقاطع والتدابر.. فتلك العنصريات، وصحق القوميات، واضمحلك العصبيات ، فصرخ الوحي على لسانه « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ثم زاد وأوضح البيان فقال : « الناس كلهم لآدم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى » ، « ليس منا من دعا الى عصبية » ، يعني لا فخر بعجمية ولا عربية ولا هندية ولا تركية ، وانما الفخر بالعمل الصالح والمزايا العلية ، الفخر بالفضيلة واجتناب الرذيلة .

نعم ! العصبية والانانية هي كل الداء ، والاعتماد على الفضيلة هو منتهى الدواء .. عين الدواء بعد ان شخص الداء ، ولم يبق الا الاستعمال ، ولذا كانت شريعته خاتمة الشرايع ودينه اكمل الاديان .

كان ينادي في كل ملأ ومجتمع « اما والذي نفس محمد بيده ! انكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تتحابوا ، ولن تجتمعوا حتى تتحابوا » .

ثم مضى على ذلك صحبه الكرام ، فساروا على خطته ومناهجه واحداً بعد واحد ، فكانوا اخواناً على صفاء ، حتى غامروا البحار وملكوا الاقطار ، وهم اعراب بادية ، لادرس ولامدرسة ، ولا كتاب ولا مكتبة . . فتقدموا ذلك التقدم الباهر ، ونجحوا ذلك النجاح الزاهر . . كل ذلك بقوة الايمان ، وعدة الوحدة والاتفاق ، ونبذ التناحر والاختلاف ، حتى اخذوا بقرني الشمس مشرقها ومغربها .

قال امير المؤمنين (ع) في النهج في احدى خطبه : « الزموا السواد الاعظم ، فان يد الله مع الجماعة . واياكم والفرقة ! فان الشاذ من الناس للشيطان ، كما ان الشاذ من الغنم للذئب ، الا ومن دعا الى هذا الشعار فاقتلوه ولو كان تحت عمامتي هذه » ويعني بـ « هذا الشعار » شعار التفرقة .

كلت الالسن ، وعجزت الاقلام ، وتعبت الصحف من الدعوة الى الوحدة والتوحيد وبيان ان الداء الدوي الذي انهك الاسلام واهلك المسلمين هو التفرق والتباغض ، حتى صارت الذئاب تفترسهم والاذناب تتربصهم .

فكم قام من حكيم عرف الداء ودعا الى استعمال الدواء ، ولكن لم ينفع ، وبقي الحال على ما هي عليه من سيء الى اسوأ .

ومن تعيس الى اتعس .

كلت السنتنا ، ومات وتصدعت اقلامنا ، وصرنا نخشى ان نتكلم في سبيل الوحدة او ندافع عن التفرقة ، واصبح حديث الوحدة والاتفاق هزلة من الهازل !

الصهيونية

قلنا قبل هذا : ان الاسلام قد بني على دعامتين : « توحيد الكلمة » و « كلمة التوحيد » . توحيد الخالق ، وتوحيد بين الخلائق ، كم قلنا وكم نبهنا وكم صرح الحكماء والمصلحون قبلنا ، ولكن هل اثر ذلك شيئاً ؟ كلا ! لا والله حتى صرنا اليوم نخجل ان نتكلم في اتحاد او جمع كلمة ، وحتى عرف رجال الغرب ان المسلمين اتفقوا على ان لا يتفقوا ، وابوا الا ان يتفرقوا ! واصبحت الاذناب تعلو على الرؤوس ، حتى آل الامر الى اسوأ الاحوال ، وصارت الصهيونية التي هي طريدة العالم وبغاة الامم يتكلمون في بلادنا ، ويبثون الدعاية الواسعة بين اظهرنا ، ونحن مشغول بعضنا ببعض ، والبلاء محيط بنا من جميع جوانبنا .

ان الصهيونية من اخطر البوائق واعظم البلاء . جمعية اقوام متفرقة اعداء الاسلام في بلاد المسلمين ، يجمعون اموال المسلمين ويملكون اراضيهم والمسلمون مشغولون عنهم .

ليست الصهيونية بلاء على فلسطين وحدها ، بل هي بلاء على العالم اجمع . يجمعون الاموال بكل حيلة ووسيلة ، ويرسلونها الى اخوانهم في فلسطين ليشتروا فيه وطناً قومياً .

الصهيونيون يرون ان الاموال التي في ايدي الناس مغتصبة منهم ، وان المال كله في الارض لاسرائيل وبني اسرائيل ، بل الارض كلها لهم ، فيجب ان ينتزعوها من ايدي الناس بكل مكر وخديعة .

اين حميتكم ايها المسلمون واين غيرتكم ؟ اين جمعياتكم واين جهودكم ؟ . . . خمسة عشر مليون كل ما في العالم تلاعبوا بالدول والهبوا نار الحرب والفتن بين عامة الامم مسلمة ونصرانية . المسلمون اربعمائة مليون تغلبت عليهم تلك الشلة الضئيلة . حتى اخذوا ازمة الامور ، وقبضوا روح السياسة ، واستولوا على دفة الحكم . . . فما من دائرة من الدوائر في العراق ، بل وفي غيره من الممالك الاسلامية ، الا وتجد لليهود فيها يداً عاملة تنفذ السموم القاتلة ، اذ جميع اليهود على الاغلب صهيونيون ، ولا

احسب يهوديا غير صهيوني .

لقد تخدرت اعصابنا ، وماتت هممنا ، وخمدت عزائمنا ، فاصبحنا اسراء في ديارنا واذلاء في اوطاننا ، ولا نعلم ماذا يراد بنا وكيف يكون مصيرنا .

الله اكبر ! ما اهول هذا الداء ! . . . كيف لا يتفطر قلب المسلم الغيور اذا بلغه ان نساء المسلمين ، من الضعفاء والمساكين في بلادكم هذه ، وهي من عواصم بلاد الاسلام ، يستخدمن عند اليهود والاجانب وانتم ساكتون ، تنظرون ولا تفكرون ، وتبصرون ولا تبصرون . . اليست نساء اخوانكم واعراضهم اعراضكم ؟! أفلا تهيج غيرتكم وتثور حميتكم ؟!

ايها الناس !

انا نذير الله اليكم ! الله الله في بلادكم ! الله الله في دينكم !.. دين الله وديعة عندكم وقد اصبح مهدداً ، فان لم تتفقوا وتتحدوا لينزعه الله منكم فتنزع عنكم كل خير وبركة ! واذا بقيتم على هذا الحال من الفرقة والتقاطع فستذهب ريحكم ويتمزق شملكم وتكونون اذل من قوم سبأ !

هنالك لم تدعر كلباً وجدتها اذل من القردان تحت المناسم

ايها الناس !

قلنا ولا نزال نقول : ان الاتفاق والاتحاد ليس من مقولة الاقوال ولا من عالم الوهم والخيال ، ويستحيل ان توجد حقيقة الاتفاق والوحدة في امة مالم يقع التناصف والعدل بينها ، واعطاء كل ذي حق حقه ، والمساواة في الاعمال والمنافع ، وعدم ايثار فريق على آخر .

ولكن اين ذلك وانى ؟

كاد ان يغلب على القنوط واليأس منكم . . . ذهبت الى ايران وكنت يائساً على حسب الشايع والمسموع . ولكني ـ بحمد الله ـ وجدت كل مايرتاح اليه طالب الصلاح والاصلاح ، ونجحت نجاحا باهراً . . ولكن في بلادي اخفقت على رغم كل جهودي ، ويا للاسف !

الله الله في اوطانكم ! . . الصهيونية بين اضلاعكم ، وهي سوس السياسة ، والبلاء المبرم ، والداء العضال . . وانتم هامدون خامدون ، لاتحسون بهذا البلاء العظيم الذي ينفركم بالتلف .

ايها الناس !

ان البلاء لعظيم ، لايبقي منكم باقية ، ولايذر في الدار ديارا ، كل عام ، بل كل شهر ، تفد قناطير الاموال من العراق وتذهب

الى جمعية صهيون ، فهل اولياء الحكم في العراق يعلمون ؟ .. نعم! يعلمون ولكن هل يعملون لدفع هذا الخطر؟ ام تحن اذان اليهود صم بكم فهم لا يفقهون ؟ !

« ان اللبيب من الاشارة يفهم » .

الصهيونيون طرداء العالم ونفاة الامم ، يوماً تطردهم « المانيا » ويوماً « فرنسا » وآخر « اسبانيا » و « النمسا » ، وهكذا كل برهة وكل ملكة ، لا تستطيع حكومة من حكومات اوربا ذات الحول والطول ان تحملهم ، دولة المانيا القهارة ذات الصناعات الباهرة وملكة انجلترا لم تقدر - يا امة الاسلام - على تحملهم حتى اخرجتهم من بلادها ، ولكن زجهم القضاء الاسود الى فلسطين فاوشكوا ان يبتلعوها ، ثم يسري البلاء الى سوريا ثم الى العراق .

هم لا يزالون يدأبون في السعي ، تخطيط الخطط ومشكلين المناهج .. ونحن غرقى في المنام ، نتضارب في الاحلام ، ويقاتل بعضنا بعضاً على الاوهام .

اين العزائم ؟ اين الهمم ؟ اين الرجال ؟ ...

يا ايها المسلمون ! كونوا رجالا .. والله - ويا للاسف ! - لسنا برجال ، بل ولا اناثى ولا خنثين ! .. اهذا شأن الرجال ؟ .. اين اصلاحكم؟ اين جمعياتكم ؟ اين معارفكم ؟ .. القوم في جد

واجتهاد وانتم مشغولون بالزخارف والسفاسف التي لا تنفع ولا تجدي، والتي لا يبلغ الانسان بها الى مجد ولا رفعة . انتم مشغولون بالقاص والملاهي والسينمات والاشياء الواهية الساقطة .. اتقوا الله ايها الناس ، ان لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا احراراً في اوطانكم ، كلمة عظيمة قالها ذلك الرجل العظيم اول الاسلام .

ايها الناس !

اول مجد شرف في الانسان النهوة ، ومن لا نهوة له لا حس له ومن لا حس له ليس بانسان .

ايها الناس !

اتركوا هذه الاعمال المضرة باخلاقكم ونفوسكم واموالكم، انها تحاط بكم من كل جانب . اتركوا هذه السفاسف المضرة في دينكم ودنياكم .

ان هؤلاء الذين جاؤوكم بالسينما والخمر والميسر الذين حرمها الله في نص كتابه، لا يريدون نفعكم ، وانما جاؤوا بها ليفسدوا اخلاقكم ويستلبوا اموالكم ويوقعوا بينكم العداوة والبغضاء ، وانما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر .. انما الخمر والميسر رجس من عمل الشيطان

تاجتنبوه لعلكم تفلحون » . لكن نحن قد عكسنا الآية ! الله - سبحانه - يقول « فاجتنبوه » ونحن نقول « فارتكبوه » !

ايها الناس !

اشربوا . . العبوا . . اكثروا التردد الى السينما والملاهي . . . الله اكبر! اين العقول ؟ اين الحجى؟ اين الاحلام ؟ . . ماطبكم؟ ما دواؤكم ؟ . . القوم رجال امثالكم . . انتم رجال وهم رجال ، فما بالكم تأخرتم وتقدموا ، وعجزتم وتعلموا ؟ . . . كيف تريدون الاعتزاز كالامم ؟ انظروا الى جامعتهم وعصبيتهم وتألفهم. اعتبروا ياذل الامم «اليهود» .. يهودي في الصين وآخر في العراق.. الروح واحدة والقلوب متفقة والآراء سواء . اذا اصيب احدهم بمكروه في العراق تألم الآخر له في الصين . واذا ضرب يهودي في المانيا صاح كل يهودي في العالم « آخ ! » وصرخوا صرخة واحدة، وهذه الصفة هي من اساسيات قواعد الاسلام حيث يقول: « المؤمن من المؤمن كالعضو من الجسد ، اذا تألم عضو تألم له سائر الجسد » « المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً » . ولكننا - ويالحسرة والاسف ! - بناء مفكك يهدم بعضه بعضاً !

فكأن تلك الوصايا التي اوصانا بها الله ورسوله قد اوصى بها اليهود واوصانا بخلافها !!

مغزى الوحدة

بعد تلك المقالات والخطب الرنانة التي القيتها في بغداد في «الحسينية» في احدى ليالي شهر رمضان زهاء اربع ساعات في جمع لايقل عن خمسة الاف . . فما ذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة « كتاب الحصان » . . . فانظروا ما احسنها من نتيجة ، وانظروا كيف تؤثر الخطب والنصائح في بلادنا وامتنا . . . وانه يسترد بلطفه من مقبة اجتماعنا هذا وامثاله . . .

أيها الاخوان !

لانجاح ولا فلاح مادامت امورنا تمشي على المجاملات دون المصارحة والحقيقة .

ايها الناس !

قد تعودنا على النفاق والمداهنة والمكر والخديعة . . يخدع بعضنا بعضاً ونسميها « مجاملة » . . كلنا كذابون ، كلنا منافقون كل امورنا مبنية على النفاق . لانصارح بالحقيقة ولا نعطي الحقيقة حقا . . . انا احدكم وعلى غراركم .

لساني يقول ولاافعل ، وقلبي يريد ولااعمل ، واعرف رشدي

ولا اهتدي ، واعلم لكن اجهل . . . نحن مأمورون تقاتا وخداعا ، وتحت كل شعرة منا شيطان ! . . نحن جميعاً نتبع الروى ونعبده « افرأيت من اتخذ إلهه هواه واضله الله على علم » .

قال امير المؤمنين (ع) : « ايها المسلمون ! انما انتم اخوان على دين الله ، ما فرق بينكم الا سوء السرائر وخبث الضمائر ، فلا توازرون ولا تناصحون ولا تباذلون ولا تواذون » . وكان سيد الرسل (ص) لايزال ينادي في اصحابه : « ايها المسلمون ! لا تتباغضوا ، فانها والله الحالقة . . لا اقول حالقة الشعر ولكنها حالقة الدين والدنيا » .

ايها المسلمون !

على م هذا التضارب والتباغض ؟ . . . كل واحد منا يقول الاخر « انا اخوك » و « نحن اخوان ومتحدان » ولكنه يريد ان يخدعه بذلك ، ولو كان اخوه حقاً لانصفه على الاقل اذا لم يواسه ويؤثره على نفسه .

ايها الناس !

لاتتقدم الامة مادام احد افرادها يسلب حق الآخر ، وانما تتقدم الامم بالعدل والتناصف واعطاء كل ذي حق حقه .

الاخوان المشتركون في دار واحدة اذا اختص احدهم بالغرف

والعلاني وترك الآخرين تحت السماء يتفهم حر الهجير وبرد الزمهرير ، ويقول لكل منهم اصبر واحتسب ذاتا اخوك . . . يستحيل ان يقنع بذلك القول وان يدوم الصفاء بينهما ويتحدا حقيقة .

اصفح عنه وتناسه تكن اخاه ، والا فليس لك الراحة بينهما من سبيل ، ولسنا بالغين المرتبة التي ادبنا الله بها وعلمنا عليها ، فقال رجل شأنه ذلك ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » . . .

حارت العقول ، وضلت الالباب ، وتاهت الافكار في طب المسألة وعلاجها . . فكم من حكيم ذهبت عصارة افكاره ادراج الرياح ، وراحت نفسه عليهم حسرات . . .

غلب الشر منذ كان على الخلق وعاثت بغيظه الحكماء
وإذا ما العقول لم تقبل النصح فماذا تفيده النصحاء ؟

وجوب ترك الخمر والميسر

غاصت الامم في البحار ، وطارت في السماء ، وقبضت على مفاتيح خزائن الارض ، وبلغت اقصى مراتب الرقي والعمران ، واخذت زينة الحياة الدنيا بحذافيرها . . . وبقينا مذبذبين حيارى

لادنيا ولا آخرة.. ذهب العز والمال ، وذهب الشرف والاستقلال وذهب كل شيء.

أيها المسلمون !

اعلموا - وانتم تعلمون - ان الامر اصبح محسوساً ومعلوماً..

اضرب بطرفك - ايها المسلم - حيث شئت من الارض ، شرقها وغربها ، هل تجد مملكة اسلامية اوقطراً من اقطار المسلمين لايعاني بلاء الاستعمار ولا يرزح تحت نير الاستعباد ولم يعد اسيراً في بلاده او ذليلا في عقر داره وغريباً في وطنه ... انظر في الغرب : تونس ، ومراكش ، والجزائر ... وفي الشرق : مصر وسوريا والعراق والجزيرة ، كلها في البلاء سواء ، وان اختلفت انواع البلاء واشكال المحن .

اليس كل ذلك من تقاطعنا وتفرقنا ؟ اليس كل ذلك من تركنا لاحكام ديننا ونواميس شريعتنا ؟

ألستم تعرفون الخمر ومضارها وفظاعة تحريمها في شريعة الاسلام ، ومع ذلك تذهبون وتشربون جهاراً وعلانية بحاربة الله ورسوله؟! اليست اصبحت تباع في اسواق المسلمين جهاراً وعلانية بحاربة ومخالفة للقرآن ؟

أليس الربا والقمار اصبح شايعاً عند المسلمين بغير نكير؟ واذا

أردنا ان نخرج نخرجه مخرج البيع ونلبس الباطل صورة الحق، «يخادعون الله وهو خادعهم» «ومكروا ومكر الله والله اشد الماكرين».

ايها المسلمون !

ان اتقينا واصلحنا انفسنا واخذنا باحكام ديننا ، عادت السعادة الينا ، وزال كابوس الاستعباد عنا .. والا .. فاعلموا انا وانتم صنوفك ما يقينا في شقاق ، وسنتدهور في هوة الدمار والبوار وخراب الديار .

تربية النشء

ايها الناس !

اولادكم ودائع الله عندكم ... الاولاد والشبان اليوم رجال الغد ، هم للبلاد والبلاد لهم ، فهل تحفظونهم ؟ ام تفسدون اخلاقهم كما فسدتم انتم ؟ ! .. الصغير ينشأ على اخلاق الكبير فان رآه يشرب الخمر تهون لاعالة يشربها . أتريدون منه الصدق وانتم تكذبون ؟ او تلتمسون منه العفة وانتم تفسقون ؟ !

ايها الناس !

لاتستطيعون تربية اولادكم الا بتربية انفسكم، وما احسن ماقال

بعض العارفين : الوعظ الذي لا يعادله نفع ولا يدعه سمع ، ما نطق به لسان الفعل وخرس عنه لسان القول .

عظوهم بافعالكم قبل اقوالكم . تأدبوا - ايها الناس - بآداب الله وكتابه وبسنة نبيه ، فوالله ما ترك من خير إلا وارشدكم اليه ودلكم عليه ! ولكنكم ضيعتموه فضعتم ، وعدتموه فخذلكم .

ايها الناس !

اتحدوا اتحاداً صحيحاً صريحاً . قتلتنا الجاملات ، واهلكنا عدم المصارحة . . كن صريحاً تكن مريحاً .

ايها الناس !

ربما اكون قد اطلت ، والاطالة توجب الملالة ، والملالة تجر الى الاثم . . وبعض الذي قلناه كاف لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد . اما من لم يكن له قلب ولا حس ، فلا يجدى فيه القول والتقريع مهما طال وكثر .

وفي الختام : نسأله - تعالى - ان يصلح شأنكم . فان صلحتم صلحتم لانفسكم ، وان فسدتم فالفساد عليكم . . ولكنا نتألم لكم ، ونريد لكم كل خير وصلاح ، وتقدم ونجاح . والله ولي ذلك كله ، والسلام عليكم .

الخطبة الثانية

الخطبة التي القاها سماحته في
« جامع المنارتين » بالبصرة في ١٠ ذي
القعدة ١٣٥٢ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ـ سبحانه ـ في كتابه المجيد وفرقانه الحميد : « ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا ، وجاءتهم رسلهم بما كانوا ليؤمنوا ، كذلك نجزي المجرمين. ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون » .

هذا نص القرآن المجيد وآية منه ، وما اعظمها ، يقول ـ تعالى ـ « لننظر كيف تعملون » .

ايها الاخوان الكرام !

تعلمون ـ وحقاً تعلمون ـ ان البلاد ، منذ بدء الخليقة ، ما زالت تسعد وتشقى ، وتسفل وترقى ، وتجمع باطلا وحقا . . وليست سعادة البلاد بطيب هوائها ، وعذوبة مائها ، وبهجة خضرائها

وحضارتها ، بل سعادة البلاد الحقيقية هي كرم اخلاق ابنائها ، ومعارف سكانها ، بغوارنهم ومعارفهم ، بعلومهم وادابهم .

سعادة البلاد بابناء البلاد ، وسعادة الابناء بالعلم والسداد ، وبانابيسع الثروة والاقتصاد ، وكل مايجلب العز والسعادة ، ويوجب المنعة والاستقلال ، والبلاد في ابان تاسيسها ، ومبادى وضعها وتكوينها ، مناسبات ومقتضيات ، تعين على سعادة ابنائهم وارتقائهم الى اوج المجد .

الكوفة والبصرة

لما بزغت شمس الاسلام ، وانجلى النور المحمدي فمزق ظلمات الجاهلية ، ما انفرط العقد الثاني في التاريخ حتى تكون مصران عظيمان من امهات المدن الاسلامية ، ولم يكن لهما نظير في تلك العصور ؛ اما الاول فهو « الكوفة » تاسست سنة ١٦ من الهجرة ، مصرها واختطها سعد بن ابي وقاص الصحابي الكبير والفاتح الشهير ، والمصر الثاني « البصرة » اسسها قريب ذلك التاريخ عتبة ابن غزوان ، وكلا المصرين تاسسا بامر الخليفة الثاني (رض) وما مضى عليهما خمس أوست سنوات حتى اتسعت منهما الدائرة

وازدهرتا بوادي العلم والادب وازدحمت عليهما الوفود لارتشاف العلم والمعارف من منهليها العذب ، وبالاخص البصرة ، فانها بعد بضع سنوات اصبحت مطمح انظار رجال العمائم ، واليها الهجرة وشد الرحال من كل حدب وصوب . وكان يقال لها « قبة الاسلام » ، و « خزانة العرب » ، و « كنانة الادب » . وغب وقوع الحادثة التاريخية الكبيرة « وقعة الجمل » دارت ادوارها ، وطابت معايشها ، وتوفرت اسباب الراحة والعمران فيها ، واصبحت معهداً علمياً اسلامياً . وفيها نشأ « المبرد » ، وهو اول معهد اسلامي ومدرسة كبرى ، وقد تخرج منه فطاحل علماء العربية ومؤسسو العلوم الاسلامية .

هذه هي البصرة ـ ايها الاخوان ـ وهذا مربدها المشهور ، من تحت هذه السماء ، ومن جذور هذه التربة ، ومن سائل هذا الاثير الجوي نشأ ابو الأسود الدؤلي مؤسس « علم النحو » ، والخليل بن احمد مؤسس « علم العروض » وصاحب « كتاب العين » ، ومسلم بن معاذ مؤسس « علم الصرف » و « البيان » و « المنطق » ـ اعني المنطق العربي لا اليوناني ـ . . . . هؤلاء الفطاحل الثلاثة هم مؤسسو علوم الاسلام ـ العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة ، ويستقي من ينابيعها قطف الادب ـ

واليوم كانت تشد الرحال ، ومن حوزة دروسهم تتخرج الرجال ، من هذه القرية والماء ، وتحت قبة هذه السماء ، نبغت تلك العلوم ، وتبوأت اولئك الاساطين ، وتخرج عليهم الأعلام الشامخ ، كسيبويه ، والكسائي ، والاصمعي ، والفراء ، وخلف الاحمر ، وكثير من امثالهم . كما ان منها نفحات عبقات مذاهب الزهد والتصوف والسلوك ، وكان اول من اظهرها او تظاهر فيها في القرن الاول من قرون الاسلام ، الحسن البصري ، و « فرقد السنجي » واضرابهم ، بل ومن هنا نبتت اول طائفة بحثت في العقائد ، وخاضت في المادة ، ونظرت في الطبيعة وما بعد الطبيعة وخواص الواجب والممكن ، وهي طائفة المعتزلة ، وفي طليعتهم « واصل بن عطاء » و « ابو هاشم الجبائي » واخوانهم ، وهم من اهل هذه البقعة ايضاً .

فانت ترى ان من هذه الاجواء والارجاء قد انبعثت اشعة جل العلوم الاسلامية الى سائر الآفاق .

ثم تعاقبت عليها الخطوب ، وتداولتها المحن كسائر بلاد الله ، ولكنها - بحمد الله - ماخلت في وقت من الاوقات من العلماء والصالحين ، الذين يرشدون الى سواء السبيل ، ويكونون للحق خير دليل ، ولا غرو ان تمتاز هذه البلاد بتلك المزايا والمآثر ،

لما خصها الله به من المزايا الطبيعية والموقع الجغرافي الذي لم يتسن لغيرها من البلاد.

وصايا وعظات

يا أهل البصرة !

هذان الرائدان يأتيان اليكم من اقاصي جبال لرمينيا . . يحييانكم ويعطيانكم درساً يرجوان فيه الى امر مهم تعود فائدته اليكم . . فهل علمتموه ، أم هل اعلمتم بما كنهه وسره ؟

يشيران اليكم بفائدة الاجتماع ، وضرورة الاتفاق ، وبركة الانضمام والوحدة . . يقولان لكم : ما اتيناكم الا بعد ان اتفقنا واتحدنا بحيث لا يمتاز كل واحد منا عن اخيه .

خرجنا من منابعنا مختلفين متباعدين ، وقبل ان نتصل ببلادكم ونأتي اليكم اتحدنا واتزرنا . . . الا هكذا فاتحدوا واتحدوا .

وهذه احدى الميزات التي خص الله بها بلادكم دون سائر البلاد . . هذا البحر الى جنبكم ، وهذا الى الفسيح مفتوح امامكم . . البحر يعلمكم اللين والمرونة ، يعطيكم الصفاء والملاحة ،

والبر يحملكم على الرزانة والقوة ، وسعة الصدر والثبات .

يقول « الخليل » من ابيات في وصف البصرة :

بر وبحر احاطا من جوانبها فالضب والنون والملاح والحادي

« الحادي » لسفن الصحراء ، و« الملاح » لسفن الماء .

تصورت بلدتكم هذه باسوار طبيعية ـ النهر العظيم وشط العرب والبحر الزاخر والنخيل المشتبك ـ فهل تعدون بلداً في العراق او غيره تفوقها او تساويها ؟ افلا يحق ويجب عليكم ان تصونوها وتحصنوها بالاخلاق الفاضلة والعلوم العالية ، والاتفاق الصحيح والوحدة الحقة ، لا وحدة الخداع والمكر ؟

اتعرفون ماهي الوحدة الحقة ؟ .. يقول العباس بن الاحنف او غيره :

اقول لورقاوين في فرع نخلة وقد طفل الامساء او جنح العصر

وقد بسطت هاتي لتلك جناحها وهذ الى هاتيك من هذه النحر

ليهنكما ان لم تزاعا بفرقة ولم يسع في تشتيت شملكما الدهر

اتعلمون ايها الكرام مايقول هذا الشاعر وماالذي يوعز اليه؟

اتعرفون ما المراد بالحمامتين والورقاوين التي تبسط احداهما جناحها للاخرى رحمة ورأفة ، ووئاماً واتحاداً على فرع نخلة ؟

هما طائفتان من المسلمين تجمعهم لغة واحدة ، وكتاب واحد ،

وقبيلة واحدة ، واهل وطن واحد ، وهم في الحسب والنسب والآباء سواء . . افلا يجب ان يكونوا كذينك الحمامتين المتآخيتين ؟!

منح الله البصرة مزايا جليلة وخواص كريمة ، امتازت بها على سائر المدن . . فهل تحققون هذه الكرامة وتشكرون هذه النعمة وتتحدون وتتفقون حقاً كما اوصى الله في كتابه الكريم ؟؟

نحن قلنا حق ملقنا ، واسمعنا حق صامتنا . . . أسمعنا الدعوة الى الوحدة والاتفاق ، وقلنا للمسلمين : ان الذي يقتلكم ، ويفرق جمعكم ، ويخمد جذوة عزائكم ، ويجعلكم - بل جعلكم - اذلاء صاغرين للاجانب ، هو هذا الخلاف والشقاق الذي تغلغل وتوغل فيكم . . . أهبنا بالمسلمين يودعوا ذاهم الى ما دعاهم اليه الله ورسوله . . ولكن هل وجدنا اثراً ، او اصبنا للامة نفعاً او دفعنا ضرراً ؟ . . كلا !

« ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ؟ ان هم الا كالانعام » ، « لقد اسمعت لو ناديت . . . . » ، « او علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا . . . . » .

منح الله - سبحانه - البشر عقولاً بها امتازت عن البهائم ليميزوا بها الحسن من القبيح ، والخير من الشر ، والنافع من الضار . . فيا ترى هل بقي شك او شبهة لاحد في ضرورة الاتحاد والاتفاق ؟ . وان العدو ما كادهم في بلادهم إلا بما يدسه فيما

بينهم من سموم النفاق ، حتى استفحلت بليته ، وامكنت فريسته ، على اوهام فارغة ، وامور فاشلة ، لا حقيقة لها ولا وجود ولا اثر ولا عين .

خلق الله ـ سبحانه ـ الكائنات من عناصر واوليات ، ولكن كل عنصر من عناصر تلك الاوليات لاتترتب عليه بانفراده فائدة ولا تظهر له في نفسه منفعة ، حتى ينظم الى امثاله ، ويتحد مع اجزائه ، ويكون ـ بعد الانضمام والتركيب ـ شيئاً واحداً له آثاره الخاصة وفوائده المعينة . اما مع الانحلال والتفكيك ، فلا فائدة فيها ولا كيان لها .

هذه الكائنات باجمعها ، من ارض وسماء ، وانسان وحيوان ، ونبات وجماد ... كانت اجزاء متفرقة وعناصر متباينة ، ثم جمع الله جزءاً الى جزء ، وضم بعضها الى بعض ، على نسب مخصوص ومقادير معينة ، حتى حصلت لكل كائن وحدة بها ظهرت فوائده وبرزت في الوجود آثاره ، وحال الكل حال الابعاض ، وحال الامم حال الافراد ، فكما ان الفرد عدة اجزاء متباينة ، من دم ولحم وعظم واعصاب ، قد انضم بعضها الى بعض حتى حصلت لها وحدة تجمعها من الروح الانساني او الحيواني ، فصار شخصاً ماثلا ، وكائناً كاملا ، يضر وينفع ، ويعطي ويمنع ، وله آثاره وخواصه ... ،

فكذلك الامة اذا انضم بعض افرادها الى بعض ، وحصلت فيها روح واحدة تجمعها ، وتجعلها تحس بحس واحد ، وتتحرك وتسكن بشعور واحد . . . هناك تكون امة حية تحفظ كيانها ، وتشيد بين الامم اركانها ، وتصون عزها من الذل والاستعباد ، وتصلح ما يطرأ عليها من الخلل والفساد .

واعلموا - ايها المسلمون - اننا لو ملأنا آفاق السماء وفجاج الارض عجيجاً وضجيجاً ودعوة الى الوحدة ، باقامة البراهين الدامغة والحجج البالغة . . لم يجد ذلك شيئاً مالم تتحقق فيكم تلك الروح الواحدة ، وذلك الحس والشعور الذي يدفعكم الى تناصف بعضكم لبعض ، وعدم استئثار بعض على بعض . وتلك الوحدة المنشودة التي تتكون بها الامم وتستدر بها السعادة والنعم ليست هي لفظا وقولا وخداعاً ومكراً ، ولا تثمر تلك الثمرات ولا تترتب تلك الغايات الا على الاعمال الجدية ، والخلوص النية ، والولاء الصريح ، والاخاء الصحيح ، وان يحب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه » . وقد كانت هذه الكلمة البارعة والوصية الجامعة ، من اهم وصايا رسول الله لامته التي لا يزال يقرع بها اسماعهم ويكررها عليهم ، ولكننا قد اضعناها وحفظها الاجانب . اخذوها منا وتغلبوا بها علينا ، ونحن احق بها واولى . . .

العلم والعمل

لا تنهض الامة وتطير في اجواء المعالي الا بجناحي العلم والعمل ، والعمل موكول الى العلماء ، وهم القادة والسادة ، والتعليم فرض عتم عليهم ، وما اخذ الله على الجهال ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا .

دعائم السعادة في الامم ثلاث : تعليم العلماء ، وعمل الامة ، وعدل الحكومة . . . فاذا قام كل واحد من هؤلاء بواجبه عمرت البلاد وسعدت العباد .

العلماء اذا قاموا بوظائفهم ، وعلموا غيرهم ، ورشدوا ونصحوا واخلصوا لله في اعمالهم وقلوبي لهم وحسن مآب » ، فقد كتبوا في ديوان الله من الاحياء والسعداء الأمتين . وان لم يعملوا او لم يعلموا فتعساً لهم ! وقد كتبوا في ديوان الله من الاشقياء الخائنين ، فان العلم وديعة الله عند العلماء للتعليم والعمل . لا للاستطالة والكبرياء ، والجدل والمراء ، والتعجب والرياء .

والامة اذا تعلمت وعملت وقبلت نصائح العلماء وارشادهم ، فقد احرزت حظها من السعادة ، وانقادت لها ازمة الخير .

والحكومة اذا قامت بواجبها نحو الامة ، واخلصت للمصلحة ونصحت للرعية ، وعلمت حق العلم ان الحكومة اجراء للشعب ، تأكل من كديمينه وعرق جبينه ، فالواجب عليها ان تخدم الشعب باخلاص ، ولا تتطاول عليه ولا تجحف به ، ولا تزاحمه حتى في بلغة معاشه ولقمة قوته ، وان تقيم فيه موازين العدل والقسط ، والواجب ان تخلص الدولة في خدمة الرعية ، وتنقاد الرعية للدولة ، وتخضع لقوانينها العادلة ، وتعقد مابينهم عرى الصفاء والمجد ، حتى يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً . . . هنالك ترقى البلاد ، وتسعد العباد ، ويعيش كل فرد من المجتمع عيشاً اجتماعياً هنياً . . لاكالحال الذي نحن فيه منذ اليوم ، حيث اصبح كل فرد منا يعيش عيشاً فردياً . والانسان مدني بالطبع ، ويستحيل ان يعيش انسان بانفراده ، فاذا انفرد عن المجتمع وانقطع ، فليس هو بانسان ، بل وحش من الوحوش !

نعم ! نحن في صورة النظام مجتمعون ، ولكن ما اشد التباين مابين الانسان واخيه ، وبين المرء وقريبه ، وبين الشخص وجاره .. وهكذا لاتجد شخصين متفقين على جامعة صحيحة ورأي واحد . فنحن حقيقة كما قال ـ جل شأنه ـ : « تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » . ولا تسعد امة مادامت بهذا الحال ابدا .

التشتت ، واختلاف الآراء والاهواء، وفقدان الزعيم والقائد المخلص الذي يجمع الامة وتجتمع اليه . . هو السبب الوحيد في هلاك الامة .

اذا ما اراد الله اهلاك امة ورماها بتشتيت الهوى والتخاذل

ما وجدنا امة صعدت الى اوج المجد فسعدت وهي متفرقة متخاذلة . ما كان ذلك ابداً ولا يكون. كما انه لايستقيم امر امة بغير زعيم قائد يقودها الى مناهج الهدى وسبل الخير . والامم إما ان يكونوا الزعيم ، او تكون الزعيم لها . والضرورة لها على كل حال . ومن حكم العرب وعاسنها القديمة الغالية قول الاقوه :

لاتصلح النار فوضى لاسراة لهم ولاسراة اذا جهالهم سادوا

عليكم ايها الناس بالركون الى العلماء العاملين والاخذ منهم، فانهم بمعونة الحق لايقودونكم الا الى الهدى ، ولا يحملونكم الا على جناح النجاح . ولعل ما حل بكم من النكبات والرزايا من بعض اسباب التجافي عنهم والتباعد منهم ، والا لعرفوكم ان هذا التخاذل يؤدي الى سوء العواقب ، وان لاثمرة بهذه الخطة ولا سلامة في هذا الطريق . . .

ان كنتم تريدون سعادة وتاريخاً مجيداً كما كان لاسلافكم فلا سبيل الى ذلك الا بالاقتداء بهم ، والسعي وراء العمل الجدي

والتخلق بالاخلاق الكريمة .

ايها الناس !

لا ينال الشرف والمجد وعز الاستقلال الصحيح بالاماني والاباطيل . اتحسبون ان الاجانب بلغوا ما بلغوا بمثل هذه الاحوال التي نحن عليها ؟ قد ابى الله ـ سبحانه ـ ان يجري الامور الا باسبابها ، وان تؤتى البيوت الا من ابوابها ، وجعل الجد والعمل هو ملاك الفوز والنجاح « وان ليس للانسان الا ما سعى » .

عودوا ـ ايها المسلمون ـ الى ما كانت عليه اسلافكم . . من الاخلاق الكريمة ، والعفة والنزاهة ، والصدق في القول والفعل ، والسعي وراء العمل النافع ، ومعرفة الوقت الثمين .

نحن نقتل الوقت الذي هو عبارة عن عمرنا العزيز ضياعاً في الاباطيل ، نصرفه في كل رذيلة ويمكننا ان نكسب به كل شرف وفضيلة .

سوادنا الاعظم يصرف عامة وقته في المقاهي والملاهي والسينمات والمواخير .

مسارح اللهو بالناس معمورة مغمورة والمساجد ونوادي العلم مهجورة . . تجد تلك مكتظة بالخلايق والمساجد في مواقيت

الصلاة خالية خاوية . أليس هذا ما يقرح قلب المؤمن الغيور ؟ او يوقد في فؤاد المسلم شعلة الاسى والاسف ؟

العلم العلم ايها الناس ! فان العلم اول مبادىء السعادة . ففي الحديث : « من اراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن اراد الاخرة فعليه بالعلم ، ومن اراد الدنيا والاخرة فعليه بالعلم » .

ثم العمل العمل ! فان العلم بلاعمل كالسراج في يد الاعمى ، والعالم بغير عمل كالجاهل الحائر ، بل في الحديث : « ان الحجة عليه اعظم ، والحسرة له ألزم ، وهو عند الله اليم » .

ثم الاخلاص الاخلاص ! فان الاعمال كلها بغير اخلاص هباء بل حسرة وندامة . اخلصوا لله ـ ايها الناس ـ في اعمالكم تنالوا سعادة الدنيا والآخرة . صبروا انفسكم عن هذه الشهوات الفانية من غير طرقها المشروعة ، فانما هي ايام قلائل وظل زائل « والاكل شيء ماخلا الله باطل » .

اين الذين طالت اعمارهم فعاشوا الآلاف من السنين ، عمروا بها الدور ، وشيدوا القصور ، وسخروا العباد ، وقتحوا الامصار ، واحتلبوا درة افاويق الدنيا واخلاف نعيمها ، ثم اصبحوا هباء منثوراً كان لم يكونوا شيئاً مذكوراً .

ثم اضحوا كأنهم ورق جف فالوت به الصبا والدبور

فما لنا نحرص على الدنيا هذا الحرص الشديد ولا نحرص على هذا العمر القصير فلا نصرفه بالاباطيل والاعمال التافهة ؟

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ رأفة بعباده واتماماً للحجة عليهم يبعث في البرهة بعد البرهة رجالا مخلصين ، واطباء ماهرين عارفين بامراض المجتمع وعلله وادوائه ، يتنبهون ويرشدون ، ويبثون الحكم والنصائح التي فيها شفاء للناس ، فان أخذوا بها فازوا ، وان تركوها هلكوا . ولعل الله ـ جل شأنه ـ دفعني في مواقفي المشهودة الى القاء هذه الكلمات وامثالها لاتمام الحجة ، وارجو ان تسعدوا بها ، وان تكون نعمة لا نقمة عليكم .

الله الله في بلادكم ! الله الله في اعراضكم ! الله الله في اولادكم ! لا تنهمكوا بهذه المدنية الزائفة ، ولا تنغمروا بهذا التيار الجارف من هذه السفاسف والزخارف التي ما جاؤوا بها اليكم الا ليهلكوكم ويفسدوا اخلاقكم ويمتصوا دم حياتكم .

الشباب

ايها الشباب الانجاب .. ! ايها الاولاد الابطال !

انتم رجال الغد وان كنتم ابناء اليوم .. عليكم اليوم العمل ،

وغداً لكم المستقبل .

ايها الشبيبة والاولاد ! .. بل ايها العبود والاكياد ! ..

انتم للبلاد وهي لكم .. انهضوا نهضة شريفة تعيدون بها مجد اسلافكم . تعاشروا بعضكم مع بعض بروح الحنان والرحمة والاخاء والمودة ، وصكوا جباه المستعمرين الذين يريدون استعبادكم بصخرة الانكار والشدة والقوة . كونوا كاوائلكم واشداء على الكفار ، رحماء بينهم » .

الشباب المثقف هو السلاح الجاهز للامة وقوتها الثارية وعدتها في الشدائد ، ولكن يجب ان تسيرها حنكة الشيوخ في تجاربهم ، وتنتظم في عقول الكهول واحلامهم ، كي ترتسم فيها فضيلة الشجاعة والاعتدال ، وتصونها عن الوقوع في طرفي الافراط والتفريط من رذيلتي الجبن والتهور .

اهم مايجب ويلزم على الشباب ان يعتصم بالعروة الوثقى من النزاهة والعفة ، ولايفسح لنفسه مجالا للركض وراء الشهوات فتستدرجه الى مداحض الفسوق وبؤرة المفاسد ، فيخسر شرفه وعزه ، بل يخسر نفسه وتخسره الامة .

مكائد المستعمرين

وكان من احبث مكايد المستعمرين اذاعة الملاهي واباحة الخمور ومعدات الفسق والفجور في بلادنا لذلك الغرض، وقد ظفروا بما دبروا وبلغوا ما ارادوا من استعباد المسلمين.

المسيح بطريقك - ايها المسلم - حيث شئت، من شرق الارض وغربها، فهل تجد مملكة اسلامية أو امة من المسلمين لم تتبوأ على بلادها احشاؤها براثن الاستعمار، ولم تنشب في اعماق فؤادها مخالب الاستعباد، ولم يستول على كل مقدراتها الاجانب ؟ . . فيكونون هم الآمرون والحاكمون، بل الملوك والمالكون . . والمسلمون لهم خولا وعبيداً. افلا يحق لنا البكاء على هذه الحال، لولا ان البكاء «تكرم منه عيون الرجال» ؟! . . ولكن اين الرجال ؟ واين الابطال ؟ واين الشمم والشرف ؟ . . ذهب كل ذلك من المسلمين «ذهاب امس الدابر» . فعلى الاسلام والمسلمين السلام !

نحن الذين كنا نملك الدنيا اصبحنا ملوكين ولا نملك شيئاً

من الدنيا . أقليس هذا من اسوأ العار ؟

هل تجدون امـــة عربية في اقطار الارض مستقلة بحقيقة الاستقلال وليس للاجانب عليها سلطان ، حتى البدو والقبائل الرحالة في البوادي واعراب القفار والصحاري . . . لماذا كل هذا ؟ أتحسبون ان ذلك لقصور في عقولنا ، او نقص في جوارحنا ، او خلل في شيء من حواسنا ؟ . . كلا وعزة الله ! لا نقص فينا حسب المواهب الفطرية ، ولا زيادة لهم علينا ، ولكنهم زادوا علينا في الجد والنشاط ، والاستهانة ببذه الحياة في سبيل الشرف ، وطرح الفوارق الشخصية . فاصبحت كل امة منهم كشخص واحد ، بهذا تفوقوا علينا ، وإلا فنحن ادق فهماً وارق طبعاً ، واسمى خلقاً وخلقاً ، ومنا اخذوا ، وعلينا تظاهروا واستظهروا .

أفليس بعد هذا حرام عليكم ان يتعادى او يحتدي مسلم على مسلم ، او يتنابذ أخ مع اخيه ؟ ! أوليس من الحتم علينا ان ننتظم تحت راية واحدة ، لا فرق بين عربي ولا عجمي ولا هندي ولا تركي ، ونكون اخواناً كما اراد الله منا ان نكون ؟

واجبنا

ان هذه صدفة من الصدف ، وتأورة من نوادر الدهر ، ان رمت بي الاقدار والاسفار الى بلادكم ، وتبوأت مقامي هذا منكم ارشدكم الى المناهج السوية ، والقي عليكم هذه النصائح بلهجة قوية ، واسلوب بسيط ، خال من التكلف والصناعة .. حقا انها لفرصة ثمينة ، عسى ان تغتنموها ولا تضيعوها ، ولعل لها الاثر النافع ، والثمر اليانع ، فكم خطاب الخطباء ، وكم كتب الكتاب ، وتجهد المصلحون ، نعم المعري يقول :

كم وعظ الواعظون منا وقام في النـاس انبياء
فانصرفوا والعمى باق ولم يزل ذاك الهيـاء

ولكن الله ـ سبحانه ـ يقول : « وذكر ان الذكرى تنفع المؤمنين » . ونأمل من الله ـ تعالى ـ ان لا يضيع مساعينا فيكم ، فانا لا نتكلم الا عن ثقة واخلاص ، وليس لنا ادنى منفعة تعود الى شخصنا ، نعم ! فائدتنا العظمى ، واقصى امانينا ، ومنتهى رغباتنا : أن تراكم امـة حية ، متحدين جميعاً ، وعاملين على اعادة مجدكم السابق . فان اتفقتم رفعتم ، وان اتحدتم صعدتم ،

والا فعسى الله ان يلطف بكم ويأخذ بأيديكم الى مرابط الرحمة ومساقط العناية .. وان كنا على رصين علم من الله ـ تعالى ـ لايلطف بعبده حتى يجد من العبد توجها واقداما ، وعزما وهمة ، لايعطف الرب على عباده حتى يتعاطف بعضهم على بعض ويرحم بعضهم بعضا .

كان رسول الله (ص) يقول : « والذي نفس محمد بيده ! انكم لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تتحابوا ، وان تتحابوا حتى تجتمعوا وتعطف بعضكم على بعض » .

وبمثل هذه التعاليم ، وبمثل هذه الفضائل ، بلغ اصحابه ما بلغوا ، وتغلبوا على اقوى ملكين في ذلك العصر ـ مملكة الفرس والروم ـ في اقل من عقدين ، مع قلة العدة والعدد ، واكثرهم اعراب اميون ، لاحضارة عندهم ولا صناعة ، ولا علوم ولا فنون ، ولا اسلحة منظمة ولا قوة .. ولكن كانت قوة الايمان واليقين بالله والثقة به اعظم سلاح واكرم جناح يتسابقون الى رضوان الله في الاخرة وشرف العز والكرامة في الدنيا .

فمن تدبر في احوال تلك الفئة ، وكيف كانوا وكيف تقدموا ، عرف جلياً ما للاخلاص والصدق ، وما للجد واحتقار هذه الحياة الدنيا ، من عظيم التأثير والنجاح الخطير ، وان المدار في

الغلبة ليس على كثرة العدد وتوفير العدة وقوة السلاح ، وانما المدار على صحة الايمان وقوة العزائم وصدق النية « رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه » فبلغهم الله ما تسامت نفوسهم اليه .

هذه عبر باهرة . . ولكن اين المعتبرون ؟

نقرأ الكتب ، وتمر بنا الحوادث ، ونحن في غمرة ساهون . . « بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » . تمر بنا الحوادث ، ونسمع الفرص ، ولا نأخذ الفائدة منها . وتضيع الفرصة غصة ، يمر الكلام على آذاننا ولا يمس ولا طرقاً من قلوبنا ، يمر علينا وهو منطلق كالهواء ، ثلا يؤثر في احوالنا واعمالنا شيئاً . استولى الخمول والكسل واستعف على كل مشاعرنا وجوارحنا ، فجفت العزائم وماتت الهمم .

الغيرة والهمة العالية اساس كل خير ومفتاح كل نجاح ، فاذا استنهضتم همتكم وحفزتم غيرتكم بلغتم ما تريدون ، ولكن لاتجتمع الغيرة والانهماك في الشهوة ابداً . احذروا هذه المدنية الخداعة الخداعة الزائفة البائقة ، التي ماجاؤوا بها اليكم إلا لسلب ثروتكم وغيرتكم فضلا عن سلب اموالكم . اتحسبون ان السيئات في بلادهم هي مثل هذا النحو الذي في بلادكم ؟ . . كلا ! فانها في بلادهم منظمة على اصول علمية وغايات اخلاقية ومشاهدات

فية . . . على العكس من التي عندكم المفسدة لاخلاق فتياتكم وفتيانكم . أين العقول الصافية والقرائح الوقادة التي تدرك من كل شيء مغزاه ولا ينخدع بالقشور والمظاهر ؟

ايها الناس !

انصروا الله ينصركم ، واحفظوه يحفظكم . احفظوا لحرمات الله ، وغاروا لشرايع الله .

الله انزل هذه الشرايع والاحكام وشرع الحلال والحرام ، لا ليتعاظم في ملكه ويتوفر في سلطانه ، ولا ليجلب اليه نفعاً او يدفع عنه ضراً ، وانما الغرض من تلك الاحكام والنواميس صلاح ابدانكم وتربية اجسادكم وتثقيف ارواحكم وحفظ جامعتكم وتنظيم امور معاشكم ومعادكم ، كي تكونوا امة قوية حيية ، تستحق البقاء والبركة والنماء ، وتسلكوا سبيل الامم الراقية التي كانت قبلكم . « يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم » .

شرع الله الشرايع ، وانزل الكتب ، وبعث الانبياء . . كل ذلك رحمة وعناية بالخليقة ، ولانقاذهم من الظلمات الى النور وسوقهم الى السعادة الابدية . وهو ـ جل شأنه ـ لا تنفعه طاعة من اطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . . ولكن مع ذلك ـ

فان تلك الاحكام والحدود والاوامر والنواهي هي محارم الله وحرماته. فمن شرب خمراً واكل الربا، او لعب قماراً، فقد هتك حرمة الله، وبارز الله بالمحاربة والمعاندة، وكان الله خصمه، اذا شتم احد الناس ابالك وعشيرتك تغضب وتغار لانه هتك حرمتك ومس شرفك، ولكن اذا هتكت حرمات الله بشرب الخمور وارتكاب الفجور لا تغضب ولا تتأثر. وما ذاك الا من الجل انه لا علاقة لك مع الله جل شأنه. فلا تغضب لغضبه ولا تغار على حرماته ونواميسه.

ما انزل الله كتاباً اكرم واعظم من القرآن، ولا شرع شريعة اجمع وانفع من شريعة الاسلام، ولا بعث نبياً افضل واكمل من محمد (ص) . . . محمد سيد الانبياء، وقرآنه سيد الكتب، وشريعته افضل الشرايع. ومع ذلك فقد خصكم الله بها دون سائر الامم. أفليس من الأسف المحض ان تضيعوها وتهملوها؟

كان رسول الله (ص) يقول: «انا حظكم من الانبياء وانتم حظي من الامم». اما حظنا من الانبياء فنعم الحظ ونعم النصيب، ولكن انظر كيف حظه منا؟ أنبعث له الخجل يوم القيامة ونطأطئ رأسه بين الانبياء أم ترفع رأسه؟

فاي حظ له نحن!.. لو كنا نرسم سيرة نبينا وصحابته ونأخذ من الالف واحداً لسعدنا، ولكنا عكسنا الحقيقة وليسنا الاسلام

ليس الفرد مغلوباً. ولو نظرنا في احوال العالم نجد عندنا من حقيقة الاسلام اثرا . نعم! عندنا من الاسلام قشور خالية من اللب لا تصلح إلا لاحراقها في النار . ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى اسراركم . ولو عاد الينا اباؤنا المسلمون الاولون وعاشرونا لا نكرونا وما عرفوا من اسلامنا شيئاً .

هذا آخر كلامي فيكم وخطابي لكم ، واستودعكم الله السميع العليم ، وأسأله ان يأخذ بايديكم الى حيث المجد والرفعة وسعادة الدنيا والاخرة ، وارجو ان لا تكون نصائحي هذه كصرخة في واد ونفخة في رماد لأنها كما يشهد الله خرجت من قلب فلا تذهب هباء ، والله يتولاكم بعنايته والسلام عليكم ورحمة الله .

الخطبة الثالثة

من خطاب سماحته يوم ١٦ ذي القعدة الحرام ١٣٥٢ هـ في « جامع الحلة الكبير » وكانت احتشدت فيه سيول الجماهير حتى غص الجامع بالمستمعين ، وتسوروا على السطوح وتعلقوا بشرفات الجامع ، وكان يوماً مشهوداً . ارتجل سماحته ، كعادته - رحمه الله - في جميع خطبه ، مستهلا الكلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ، ليقوم الناس بالقسط . وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس . وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب . إن الله

قوي عزيز ».

اشتملت هذه الآية الكريمة على اسرار عظيمة ، ومقاصد جليلة ، ونكات دقيقة ، وحكمة عالية . فاشارت الى كيفية سعادة الانسان وترقي المجموعة البشرية ، وترتيب الاحوال والمدارج لتنظيم امور سعادتهم ونظم معاشهم ، وتعديل سلوكهم والمحافظة على كيانهم ، ودرء الشر عنهم وصيانتهم من الوقوع في المفاسد والمهالك ، فقال عز من قائل سنذكر لقد ارسلنا رسلنا بالبينات ... » .

نعم ! ارسلهم بالمعجزات الباهرة والدلائل النيرة والبراهين الساطعة على ثبوت رسالتهم ، مؤيدين بالبينات الشاهدة على نبوتهم الناطقة بحجتهم . هذا كله حتى يتم دور النبوة ، ويبلغ الامر الى بليغ الحجة . فاذا قامت على ذلك المعجزة وتمت الحجة ، واعتقدت الناس بصحة رسالة الرسول ونبوة النبي ، جاء حينئذ الدور الثاني ، وهو وقت اداء النبي وظيفته وقيامه بواجبه ، وتنفيذه لمهمته ، الجهة المبعوث لها والناهض بثقل ابلاغها وتنفيذها . الا وهي صلاح البشر وانقاذه من مخالب المفاسد ، واصلاح فاسده ، وتقويم معوجه . وبيان انه بماذا يكون ، وباي شيء تتحقق تلك الغاية وينفذ ذلك الغرض .

نعم ! لا ينفذ ذلك الغرض ، ولا تحصل الغاية المتوخاة ،

الا بوضع قوانين الهية ، وناموس دنيوية ، يضمها كتاب جامع يتكفل بالنور الساطع والدواء الناجع .. وذلك الكتـــاب هو « القرآن » المبين ، والحبل المتين والماء المعين ، فقال ـعز من قائل ـ « وانزلنا معهم الكتاب » .

الكتاب هو ذلك القانون المشتمل على الداء والدواء ، والمرض والشفاء ، وعلى الوسائل والغايات ، والاسباب والنتائج . . . الكتاب هو القانون الالهي المتكفل لسعادة البشر ، المشتمل على التعاليم المرجعة لصلاحهم ، ونظام معاشهم ، وحفظ سعدودهم ، وتوازن حقوقهم . . . الكتاب هو القانون الباقي للانسان مابقي الانسان .

طيب ! . . انزلنا معهم الكتاب ، اي القانون المتضمن للميزان الذي توزن به الحقوق والمعاملات بين الناس بعضهم مع بعض ، بل المعاملات بين الخالق والمخلوق وبين المخـــلائق انفسهم ، وبه تتشخص وتتعين الحقوق الشخصية ، كحق الوالد على ولده وحق الولد على ابيه ، والزوج على زوجته والزوجة عليه ، والاخ على اخيه . . . وهكذا مما يستلزمه نظام البشر وحفظ هيئتهم الاجتماعية ، وتختلف تلك الحقوق باختلاف الصفات والعلاقات ، فوضع ذلك القانون الالهي ميزانا يعين حقوق هذا على هذا وحقوق الكل على الكل . هذا هو

عين الميزان الذي توزن به الحقائق ، وتقاس به الطرائق ، وتعرف به الحدود والفوارق ، ويقوم به القسط والعدل بين المخلوق والخالق وبين الخلائق .

وبعد أن تم وضع هذا القانون وانتهى دور التشريع جاء « الدور الثالث » وهو دور التعلم والتعليم دور العمل والتطبيق ، فقال عز شأنه « ليقوم الناس بالقسط » يعني ليقوموا بالعدل والتكافؤ ، ويحفظوا بينهم التوازن ، ولا يستأثر بعضهم على بعض فيحدث من الاستئثار الدمار ، ولا يستبدوا فينجر الاستبداد الى الفساد . فاذا توازنت الحقوق ، وتوزعت الفوائد ، وتعممت المنافع ، انتظم الامر ، وجرت مياه الصفاء ، وازهرت منابت الراحة والرخاء ، ولم يكن ثمة شغب ولا لغب . ثم « ليقوم الناس بالقسط والعدل بعد تعيين الحقوق وفرضها .

« وانزلنا الحديد فيه بأس شديد » . هذا هو « الدور الرابع » من الادوار التي اشتملت عليها هذه الاية الكريمة الربانية والجوهرة الالهية من الادوار المتدرجة والاطوار المترتب بعضها على بعض . نعم ! هذا هو الدور الرابع ، دور التنفيذ ، بعد دوري التشريع والتطبيق . العلم وحده بلا عمل ولا تطبيق لا ينفع ، التشريع بلا اجراء ولا تنفيذ لغو لا فائدة منه ، فكأنه تعالى

شأنه سيقول: ايها الانبياء ايها المرسلون، ايها المصلحون: علموا البشر، ثقفوا المهج، قوموا المعوج، هذبوا النفوس، انقروا بين سائر الطبقات القواعين والتعاليم، عرفوهم حقوقهم، اوقفوهم عند حدودهم، فان نجح وانتفع وسمعوا واطاعوا فيها وانعم، وقد فازوا وسعدوا، وان لم ينفع الوعظ والارشاد باللسان ولم يقتنعوا بالحجة والبرهان، فلابد عند ذاك من «الجماع» لابد من الحديد ذي البأس الشديد، لابد من السيف. «الجماع» هو القوة التنفيذية الوحيدة لعلاج البشر وتمشية العدل بينهم، وكم في الحديد ذي البأس من منافع للناس كما تعلمون وترون، ويزع الله بالسلطان مالا يزع بالقرآن (حديث شريف). القرآن لذوي الالباب والعقول، والسيف والسلطان للعنيد الجهول.

ثم عقب جل شأنه تلك الفقرات النيرات بالبينات العالية، حيث قال بعدها اعلاها من كلمات، قال: «وليعلم الله من ينصره بالغيب ورسله، ان الله لقوي عزيز».

وبيان ذلك: انه تعالى يقول: ايها الناس، انا ارسلنا اليكم الرسل بالمعجزات البينات اولا، وشرعت لكم القوانين النافعة وانزلت بها الكتاب ثانياً، وفرضت عليكم العمل والتطبيق ثالثاً، وجعلت القوة التنفيذية بعد التشريع رابعاً... والغرض من

كل ذلك صلاحكم ، ولكني انظر من ينصر الله حتى انصره ، ومن يعز ديني وشرايعي حتى اعزه .

ايها الناس انما تعاليمي وشرايعي وحكمي واحكامي فمن ينصرني فيها فانا له ناصر ، ومن لاينصر الله فيها فان الله قوي عزيز ، ... قوي على الانتقام ، عزيز لا يضام .

هذا نظم الآية الشريفة على الاجمال ، ولكن السر في ذلك كله - اي سر الحاجة الى ارسال الرسل وانزال الكتب ووضع الميزان بالقسط ووضع الحديد ذو الباس الشديد - هو ان الله - جل شأنه - بسابق حكمته لما اوجد الانسان في بدء نظرته جاهلا لايعلم شيئاً - واي بلاء ايلى من الجهل ! - «والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً» ... نعم لما وكما اوجد مقطوراً على الجهل كذلك اوجده محتاجا فقيراً فاقداً لكل ما يحتاج اليه ، حتى ان البهائم والحشرات ، بل وكل مخلوق في بدء تكوينه واول ظهوره ، قد يكون خيراً من الانسان .. يولد عاريا من كل شيء ، من ساتر جسده ، وماسك رمقه ...

ثلاث غرائز وجدت مع الانسان هي اصل كل بلاء عليه وخسران : الجهل والعجز والفقر . ولكن قد تدارك كنه العناية وشمائله

الرحمة ، فجعلت لكل واحد من تلك المهلكات الثلاث اسبابا لزوالها ، وجعل الانسان على مقربة استعداد واوفى عدة لعلاجها.

جعله مستعدا لعلاج الجهل بالعلم ، ورفع العجز بالاقتدار ، واراحة الفقر بالغنى . . ولكن من طرق خاصة واساليب معينة ، وارسال الرسل ، وانزال الكتب ، ونشر التعليم ، انما هي لتعيين تلك الاساليب وتشخيص تلك الوسائل الموصلة الى الغاية التي هي النجاة من تلك المهالك والفوز بالسعادة الابدية .

أترون ان الله تعالى بأنه اوجد البشر رحمة ام نقمة ؟ . . كلا ! ثم كلا ! . . . انما اوجده للرحمة والبقاء لا للخسارة والفناء . فلما اوجدهم للعناية والرحمة فلابد ان يهيء لهم الاسباب اليها ، وحيث كانت تلك الخلال الثلاث من اصول الرذائل وامهات المفاسد والشرور ، واول فساد نشأ منها في دور الانسان الاول هو قتل احد الاخوين اخاه بدافع الغلبة والاستئثار ، ثم اتصلت بعد ذلك المصائب وتوالت النوائب ، حتى اتسع نطاقها واشتد رواقها ، ولم تزل تتنوع وتتشكل باشكال مختلفة . . فمن غارات منهوبة ، واموال منهوبة ، ودماء مسفوكة واعراض مهتوكة ، واصنام معبودة ، واحجار معبودة . . وهلم جرا . . . فرايح شرور وولايج افك وزور .

نعم ! والعناية الازلية والالطاف الربوبية لم تزل معنية بالبشر ، تنشر وتثقف ، وتعلم وتهدي . . . ارسال رسل ، بعث انبياء ، انزال كتب ، وضع موازين ، جعل قوانين ، قصاص وديات ، حدود وعقوبات . . . ولكن هل نفع كل ذلك او نجع بعضه ؟ . . كلا !

اقام نوح بين ظهراني قومه الف سنة إلاخمسين عاما يدعوهم الى الهدى ويرشدهم الى الطاعة ، فماذا كانت النتيجة ؟ والى اين بلغ الحال بعد دعوة شيخ المرسلين المديدة الطويلة ؟ . . نعم ! كانت طوفانا مريعا وهلاكا فجيعا ، وابادة لكل ذلك الجيـــل عدا قليل .

ثم تسلسلت الانبياء على ذلك والناس لاتزداد إلا تعاسة وشرا ، والعناية لم تزل تساوقهم وترافقهم ، ولاتريد بهم الاخيرا .

فلم يتهيأ للبشرية من يعطيها دواءها الحاسم ويعرف علاجها الشافي ، ويسير الفور ويبلغ المدى ويصيب الهدف ويطبق المفصل حتى جاء المثل الاعلى والمظهر الاتم الاجلى ، سيد الرسل ومنقذ البشرية ، النبي الاعظم محمد (ص) ، فعرف ان داء البشرية الوحيد ومنشأ كل الويلات والمفاسد هو حب القلبة والاستئثار ، حب الاثرة يدفع بالنفس الى ان تطمح للحصول على كل اسباب

التفوق ، فيطغى بها شرر الشر والنهمة ، فتركن الى القوميات وتتمالى بالعنصريات .

الفارسي يقول : انا من سلالة الملوك الاكاسرة . والرومي يقول : انا من اولئك البطارقة والقياصرة . والعربي يشمخ بقومه اهل الكرم والشجاعة والفراسة والبراعة . . . وهكذا كل يريد ان يتفوق على اخيه ويستلب الحق من ذويه .

نعم ! هذه هي بلية البشر الصماء وداهية المصائب الدهماء . حب الغلبة يدعو احدهم ان يسلب الآخر ماله ليكون اغنى منه ، ويهتز ارضه ليكون اوسع ملكا منه ، وينتزع نعيمه ورياشه ليكون اهنأ عيشاً منه . . وهكذا يسلبه كل شيء حتى يجعله بلا شيء ويكون له كل شيء .

نعم ! جاء محمد (ص) فمحا كل هذه المتعنات ، وطمس عيون العنصريات ، وسحق جماجم القوميات ، فقال بقوله الحق : « كلكم لآدم وآدم من تراب ، لافخر لعربي على عجمي » . فضيلة الاسلاف لاتنفع الاخلاف حتى يكونوا امثالهـــم . الكرم هو التقوى ، والفخر بشرف الخلال لابشرف الدم والمال .

علاج ادواء البشرية وامراضها ان ينضوي الجميع تحت راية واحدة وجامعة فذة ، الا وهي جامعة الانتساب الى الله وراية ان

ثالثها « ان يعلم غيره » ؛ وإلا لبطلت فائدة التكاليف ولم يحصل التهذيب والتثقيف . . « كلكم راع وكلكم مسئول » . ولو لم يجب تعليم الغير لبقيت الناس خاملة جاهلة . لكل انسان يجب عليه ان يعلم ويعمل ويعلم .

نعم ! هذه هي اصول التكاليف وميادينها واهدافها . وما لاشك فيه ان حفظ كل واحدة منها التقصير والاهمال منا ، كما هو حالنا في سائر المهمات وضروريات السعادة والحياة .

لا طالب علم صحيح ، ولا عمل بما نعلم ، ولا تعليم للغير كما يجب !!

نحن نعلم ولكن اعبد الهوى ونعمل بما تبعثنا اليه الشهوات . كلنا عالمون وكلنا ضالون ومضلون . . « ارأيت من اتخذ آلهه هواه واضله الله على علم » . فنحن من اجلنا الله على علم منا .

نحن عالمون وفي عين الوقت ضالون كانا جاهلون . اتريد شاهداً على ذلك ؟

هل بقي خفاء وستار أن اكثر من اشد الكبائر اثراً واعظمها ضرراً واكثرها بلاء وشراً . . نقص في الدين ، نقص في العقل ، نقص في الصحة ، نقص في المال ، نقص في النسل ، نقص في كل شيء . . . ولم تزل طائفة من الناس في قليلة تقربه في الجاهلية

والاسلام حق في عصر النبوة . ولكن الفرق انه من ذلك العصر المتأنق الى عدة عصور كان يشرب سراً وفي الخفاء ، رعاية للاسلام وصيانة للاحكام ، اما في هذا العصر - ويا للاسف ! - فقد صار يباع في الاسواق جهاراً وعلناً . . يباع في عواصم الاسلام كبغداد والشام ومصر واشباهها ، ويمر عليه المسلمون بلا ازراء ولا انكار ، ويشربون جهاراً محاربة لله ورسوله ومعاكسة صراحا لكتابه وقرآنه .

زجاجة الخمر الموضوعة في حوانيت بلاد المسلمين تقول للمسلمين : « انا جئتكم من اوربا على رغم انافكم ، لافقأ عيونكم ، وانشر عهركم ، وانقص اموالكم ، واسلبكم عقولكم ، واحارب قرآنكم ! . . القرآن يقول : « الخمر اثم فاجتنبوه » وانا اقول : « الخمر غنم فارتكبوه » . النبي يقول : « ايها الناس ! شارب الخمر عابد وثن . اذا مرض لاتعودوه ، وان مات لاتشيعوه ، وان تشفع اليكم لا تشفعوه ، وان خطب اليكم لا تزوجوه » . وأنا اقول : « شارب الخمر عظموه واكرموه » . . . وعلى هذا المنوال سائر الكبائر من الربا والقمار والفواحش وغيرها .

ايها الناس !

ان من حق المسلم على المسلم اداء النصيحة له ، واتم امره

لدينا كرام علينا . . الله الله في انفسكم ! الله الله في اولادكم ! الله الله في اموالكم واعراضكم ! الله الله في بلادكم واوطانكم ! . . . ان هذا السير الذي تسيرون عليه سير على غير الطريق ، وهو لاعالة سوف يؤدي بكم الى الهلاك الابدي والعذاب السرمدي.

نحن حين اوقفنا النظر عن الآخرة والحساب والجزاء ، وصرنا - معاذ الله - قوما طبيعيين ، فان حياتنا المادية لاتساعدنا على ارتكاب هذه الاعمال . . اصبح حالنا على الحقيقة حال الجاهلية الاولى ، سوى اننا نقول بالسنتنا : « لا اله الا الله » ، وكلكم تعلمون انها لا تقبل الا بشروطها ، وماشروطها سوى تنفيذ حدود الله والالتزام باحكام الله ، وذلك هو الاسلام حقيقة .

كان الناس في الجاهلية يشربون الخمر ، ويرتكبون الفواحش ، ويأخذون الربا ، ويستحلون قتل النفس المحترمة ، وتشيع بينهم الغيبة ، وينتشر عندهم الحسد . . . فياله عليكم ! طبقوا هل بيننا وبينهم فرق؟ . . نحن بالقول مسلمون وبالعمل جاهليون « لساني يقول ولا افعل » .

ان اهم ما يوجب على المسلم اليوم هو ان يطهر قلبه من كل غش وغل لاخيه المسلم ، حتى يعود المسلمون كما كانوا : كلهم كتلة واحدة . وهذه هي القاعدة الاساسية واهم التعاليم التي نجح

بها الاسلام وتقدم .

الف النبي (ص) وآخى بين اصحابه حتى صاروا روحا واحدة وامة حية تحيا بروح واحدة وتشعر بشعور واحد ، ولا يصلح آخر هذا الامر إلا بما صلح به اوله .

مكافحة البضائع الاجنبية

ايها الناس !

انتقض البناء الذي بناه لنا الاولون فاصبحنا ملوكين للاجانب محتاجين اليهم في كل شيء ، وليس معنى ذلك ان الله جعلنا محتاجين اليهم ، ولكن نحن احوجنا انفسنا اليهم ، لانا لم نقنع بما يكفينا في قوام الحياة ، تسمى الفضول « كماليات » وهي عين النقائص ، ولو قنعنا بما يكفينا وترفعنا بانفسنا عن تلك الفضول لما اصبحنا بهذه الحاجة والفاقة الماسة والفقر المدقع ، ولما ابتلينا بهذا النقص في الاموال والثمرات . ما الحاجة الى شراء هذه السفاسف اللماعة والزخارف الخداعة ؟ . . خدعونا فجعلوا يبترون اموالنا ويسلبونا عزنا وعهدنا ، بل يمتصون دم حياتنا .

نحن احوجنا انفسنا اليهم فصرنا اسراء لهم.. « احتج الى من شئت تكن اسيره » ، ولو قنعنا بما عندنا لكفانا .

ايها الناس !

اذا قلت من قبل ولا ازال اقول : « الاتحاد والاقتصاد » . . . احفظوا هذين الاصلين وخلاكم ذم . دبروا معاشكم ، فان التدبير نصف المعيشة ، وما افتقر من دبر . ذهب الذهب وذهب كل شيء معه . . . هل ترون ليرات ؟ اين الليرات التي كانت ايديكم واكياسكم مملوءة بها ؟ . . قد اصبحت ايديكم من الذهب صفراء كما اصبحت اراضيكم من الخير قفرا ! !

العمل ... العمل

ان كنتم تريدون ان تكونوا رجالا احراراً كاملاتكم . . رجال صدق وعمال حق . . فاتبذوا الاهواء والرذائل والملوس في المقاهي ومجالس البطالة . وما ادري ـ وليتني كنت ادري ـ ماذا تجنون من ثمرة بجلوسكم في تلك المجتمعات التي لا شيء فيها من الخير ؟

الناس جدوا فنالوا ، واجتهدوا فحصلوا ، وصدقوا في الطلب

فوقفوا . . وهل هم الا رجال امثالكم ؟ . . طاروا في السماء ، وشقوا البحار ، وسخروا القوى الكامنة ، واستغلوا كل شيء ، حتى ضوء النجوم وقوة تيار النور وكامن اسرار الطبيعة .

الله الله ايها الناس ! احذروا زيارج هـــذه المدنية الخلابة اللماعة البراقة ، فانها تذهب بكل نخوة وشرف ، وما اخترعها القوم الا لهلاك هذه الامة . القوم اخذوا تعاليم الاسلام فتاروا وتقدموا ، وتركناها فتأخرنا .

أليس من تعاليم الاسلام « اغزوهم في عقر دارهم قبل ان يغزوكم » . فوالله ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا » . وهكذا كان سير المسلمين . . . طووا عرض البسيط ، وتقحموا لجج المحيط من اسبانيا في الغرب الى جدران الصين في الشرق .

اما اليوم - ويا للاسف ! - فقد انعكس الامر وانقلب علينا الدهر ، فلم تبق بقعة من بلاد المسلمين الا وهي مستعمرة بل مستعبدة لهم ، يغزوننا في عقر دارنا ويملكوننا في بلادنا . اشغلوكم بالترهات والخزعبلات ، واندفعوا الى الجديات التي انتم لاهون عنها بالمقاهي وقابعون في غمرة الملاهي .

الحلة الفيحاء

ايتها معشر الخلين الكرام ! لم تزل بلدتكم الكريمة هذه سامية الآثار عالية المنار من بدء تأسيسها في آخر القرن الخامس حتى الآن ، ولا جرم ولا غرو ، فقد انشأها ارباب السيف والقلم واعلام العلم والعمل وفرسان المحابر والمنابر ، العرب الاقحاح « بنو دبيس » من « بني اسد » ، انشأها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن مزيد . وكانت ـ كما يقول الحموي ـ « أجمة تأوي اليها السباع » ، فنزلها باهله وعساكره ، وقصدها التجار ، فصارت من افخر مدن العراق واحسنها . ولكنها مالبثت ، بعد ان كانت اجمة قصب ، ان عادت اجمة فضل وادب ، وبعد ان كانت تأوي اليها السباع تنبهت اليها المصانع من الاصقاع تهافت الجياع على القصاع .

شمي من تربة ارضكم انتجت وانجبت من الرجال ، ومازالت تؤتي اكلها حيناً بعد حين بما تخرج من فطاحل العلماء واماثل الادباء ، وقد استمر سيرها الادبي والعلمي عدة قرون . ولو اردنا

تعداد او احصاء من تخرج من هذه القيصاء من الاعاظم لاحتجنا الى عدة دفاتر وطوامير ومحابر ، ولاننا نجد منهم الرجال الذين يلمعون في افق التأريخ لمعان الكواكب في آفاق السماء ، وكان تربتها قد عجنت بعبير الذكاء والعبقرية ، وامتازت بالفطانة والفكاهة . ولم يزل يتعاهدها بالتربية والتثقيف اساتذة اساطين نشأوا منها ونزحوا عنها ثم عادوا اليها ، منهم جدي الاعلى (كاشف الغطاء) ، وخاله جدي القريب الامام «موسى بن جعفر» فانه كان يسطاف بها كل عام ، وكانت ليعض وجهائها حديقة غناء يدعوه اليها كل سنة . فقال الشيخ صالح التميمي ـ احد نوابغ شعراء الحلة في ذلك العصر ـ :

عذرت ولم اعذر على البعض جنة ... طفت فيدا بين الجنان غرورها

تهز غصونا كالعذارى اذا انثنت ... تعاس بأوراق الحلى تضيرها

تزور ملوك الارض (موسى) وهذه ... كفاها فخاراً ان (موسى) يزورها

ولولم تكن ملوء الحدائق لم تكن ... له عادة في كل عام يطورها

وكان حاكم الحلة يومئذ « سليمان باشا » احد قرابات الوالي الاقطاعي في بغداد « داود باشا » ، وكان الحاكم المزبور ظالماً غشوماً . فاذا حل الشيخ في الحلة كف الحاكم عن ظلمه وعدل

واعتدل ، فاذا تفل راجعاً الى النجف عاد الى شقشقته ، فقال الشيخ صالح ـ المتقدم ـ في احدى مغادرات الشيخ للحلة متوجعاً لسفره عنها :

بمن تفخر الفيحاء والفخر دأبها قديماً وعنها صار موسى يأهله
وغادرها من بعد عز ومنعة تحاذر كيد السامري وعجله

فبلغ ذلك سليمان باشا ، فاستحضره للعقوبة ، وقرأ عليه البيتين ، فقال الشيخ صالح : « هذان البيتان قد حرفا ، والذي قلته غير هذا » . ثم انشأ ارتجالا قوله :

زهت بابي داود حلة بابل والبسها بالامس بردة عدله
وكانت قديماً قبل موسى وقبله تحاذر كيد السامري وعجله
فمضى عنه وخلع عليه .

ثم قال « الشيخ موسى » اخوه « الشيخ حسن » فانه اقام في الحلة برهة ، وكان مرجعها الوحيد ، وفيها الف كتابه الجليل الموسوم بـ « انوار الفقاهة » . ولم يزل المشايخ من اسرتنا يتعاهدونها من حين الى آخر . . الى ان اشرقت فيها الكواكب الساطعة من « آل عبد المطلب » والسادة الاشراف من « آل مناف » ، بدور الهدى وبحور العلم وينابيع الادب الغض ، وهم منا ونحن منهم ، ومازال هذا البيت (آل معز الدين) عمود

الرواق سامي الآفاق، اذا غاب منهم كوكب لاح كوكب . . ومن تلق منهم تقل لاقيت سيدهم » .

فيا اهل هذه البلدة الطيبة التي حباها الله بتلك المزايا الفاضلة والشعور المتوقد ! ألا يجدر بكم ان تنهضوا الى المعالي، وتقتنوا الغرس، وتسترجعوا مجد الجدود والآباء، وتكونوا قدوة لغيركم من سائر البلدان ؟

الشبيبة

يا شبيبة الملة !

انتم زهرة البلاد ، انتم الارواح والاكباد ، انتم الاموال والاولاد . . البلاد لكم وانتم للبلاد ، فان حفظتموها حفظتم المجد والشرف ، والا ضعتم واضعتم .

اياكم والسرف في المفاهي والملاهي ! . . الشباب باكورة العمر وربيع الحياة ، فاغتنموا العمل والجد والاجتهاد فيه . اغتنم صحتك قبل سقمك ، وشبابك قبل هرمك ، ووجودك قبل عدمك . . . لا تحصيل إلا وقت الشباب ، فاغتنموا شبابكم ،

والا فما أشد الندم بعده ، حيث لا ينفع الندم . ولعل الله - سبحانه - ساقني اليكم لانبهكم وارشدكم وليتم الحجة عليكم ، والمصاحف تعود لكم ، وقلوبنا تحترق عليكم . ونستودعكم الله بالسلامة . والسلام .

الخطبة الرابعة

الخطاب الذي تفضل به سماحته
في النجف الاشرف ـ في ٢٨ صفر سنة
١٣٥٣ هجرية ـ في الصحن الشريف على
جماهير من المشيعين مرتجلا . قال
رحمه الله :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وصحبه الطيبين .

قال الله ـ تعالى ـ : « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ، فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ لما ذرأ الخليقة ، وبرأ النسمة ،

واوجد البشرية . . أوجد فيها ثلاث غرائز ملازمة لها : اوجد الانسان جاهلا لا يعلم شيئاً ، وفقيراً لا يملك شيئاً ، وعاجزاً لايقدر على شيء . فهذه الخصال الثلاثة هي الضريبة الاولى على ابن آدم التي جبل عليها وتمكنت منه . . . جهل ، وعجز ، وحاجة .

ولكنه ـ جل شأنه ـ قابل هذه الرذائل المتأصلة فيه ، والتي هي امهات بلائه ،واصول شقائه ، وينابيع خزائه ، وشجرة جميع رذائله وذمائمه . . بثلاث من النعم : نعمة الوجود ، ونعمة الحياة ، ونعمة الادراك . فجعله موجوداً حياً مدركاً . وهذه هي اصول النعم والفضائل التي يستطيع بها ان يتدارك مايدخل عليه من النقص بتلك الرذائل السابقة . ولكن الانسان بما انه جاهل لايعلم كل شيء ، والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئاً » . فلا يهتدي ولايستطيع ان يستثمر تلك المواهب العظمى ، فكان بالضرورة وبالطبع يجب على الله من باب اللطف ، لانه اوجد البشرية للنعمة والبقاء لا للبلية والشقاء . . نعم ! كان من الواجب عليه ان يبعث في كل برهة معلمين مهذبين يعلمون الناس كيف يستغلون نعمة الحياة ويستثمرون ادراكهم وعلمهم ، فكان المصلحون والمرشدون لا يزالون على طول الابد تأتي منهم ثلة بعد ثلة .

فاعلى طبقاتهم الانبياء والمرسلون ، فانهم ما بعثوا إلا لتثقيف البشر وتهذيبهم ودفع تلك الرذائل عنهم ، ثم يليهم الأئمة والاوصياء والسفرة والبررة ، ثم بعد هاتين الطبقتين العلماء ، ولا اعني بالعلماء من اشار اليه امير المؤمنين (ع) حيث قال : « وآخر قد تسمى عالماً وليس به ، قد جمع اضاليل من ضلال وجهالات من جهال » ، ولكن اريد العلماء الذين يعنون بتهذيب البشر واصلاح اخلاقهم وتزكية نفوسهم ، فما من امة قام فيها مرشدون إلا وكانت سعيدة وحصينة من السوء ، وما من امة خلت منهم إلا وكانت عاقبتها الدمار . فالله يقول : « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين » ، ثم عقب هذه الفقرة الشريفة بكلمة ابرأت عن مغزاه من ارسالهم ، حيث قال : « فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » فالغاية منهم ان يكونوا مبشرين بفوائد الاصلاح ومنذرين بمضار تركه . وقال هذا اشار في آية اخرى ، حيث قال : « وما كان ربك مهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » ، يعني ان وجود المصلحين يستحيل معه هلاك الامة . فاذا جاء الانبياء وورثتهم العلماء وقاموا بوظيفتهم ، فحينئذ من آمن واصلح واتبع سيرتهم فلا خوف عليهم ، واما اذا لم يتبعوا السيرة النبوية ولم يكونوا مصلحين فهناك الخوف والحزن .

اثير المصلحين

منزلة المصلحين من الامم منزلة الاطباء والمعالجين . . فكما ان الاطباء يعالجون الامراض الجسمانية فكذلك العلماء يعالجون الامراض النفسانية المهلكة لها ، وبهلاك النفس هلاك الجسد ، ومرتبة هؤلاء كمرتبة الروح من الاجسام .

امراض النفوس وعللها واسقامها اكثر من امراض الاجسام ، فهي تشمل الحسد ، والجهل ، والغرور ، والكبر ، والبخل . . . اصولها كثيرة فضلا عن فروعها وجزئياتها . وهذه الاخلاق الرذيلة هي سوس الامم وموجب هلاكها . وكما يستحيل ان تبقى امة بلا معالجين للاجسام ، فكذلك يستحيل ان تحيا امة بدون مطهرين للاخلاق .

وكما ان لكل فرد من الافراد كيانا مخصوصا ووجودا مخصوصا ، وهو معرض لآفات كثيرة . . كذلك الامم ، فهي متكونة من مجتمع تلك الافراد المرتبطة بروابط روحية ، مثل الدين واللغة والتربية ، فاذا اتحدوا في هذه المشخصات الثلاث صاروا امة من الامم . وهي كالفرد الذي هو عبارة عن اشياء متباينة

وحقائق مختلفة مربوط بعضها ببعض ، وهي العظم واللحم والعصب والعروق ، قد جمعتها روح واحدة ، وصيرتها عالماً خصوصاً وشخصاً واحداً ، وهي ايضاً عرضة للامراض الاجتماعية ، فاذا تلفت روحها هلكت الامة ، كالفرد تماماً .

وهذه العلل والاسقام التي تعرض للامم تنشأ من عدم المصلحين فيها واهمالهم الاصلاح الذي هو فريضة على كل انسان كل بحسبه . . « كلكم راع وكلكم مسئول » .

تنشأ المفاسد من جهلاء ناقصين عقلا ، فيهملون العلماء اصلاحهم ، ثم يتسع الخرق شيئاً فشيئاً حتى يعم البلاء .

انه اعطى الانسان مواهب كما ابتلاه بمثالب ، وجعل تلك المواهب درء للمثالب ، فاذا اقتصر على الثانية انعكس الامر وهلكت الامة بتكاسل زعمائها ومصلحيها .

القضاء على الاعمال المنكرة

في مثل هذه البلدة التي هي مركز العلم والتقى والصلاح ، والتي هي مطمح انظار العالمين ، تقوم فيها مثل هذه البدع التي لايقر عليها شرع ولاعرف . . يقوم فيها بعض الجهلاء فلا يردعون ،

تعم الرزية والعقلاء ساكتون عن مثل هذه المنكرات الفظيعة ! ..
مثل هـــذا الحرم المقدس « رب اجعل بيتي حرماً آمناً » يصير حرماً عميقاً يخافه كل متستر من بلاء يقع عليه !

هذه الاعمال الفظيعة والمنكرات المخزية ، التي يعلن شرها وينتشر شررها في هذه الايام ، هي التي فككت روح الاخوة الاسلامية وفرقتها .

ولو كانت هناك روح واحدة لاحس كل مؤمن بالم الآخر وبالمنكر الذي يقع على اخيـــه ولتألم منه ، واذا تألم يتصدى لرفعه .. لكنا نعيش عيشاً فرديا لا اجتماعياً ، فاذا نزل باحدنا مكروه لانحس به ولا نتصور انه سيقع علينا ، وهذه الاحوال والمصائب هي التي اوصلتنا كافة الى هذه الحالة من الضعف ، فهضمت الحقوق وسلبت العزة ، ولم تبق لنا حرمة .

ولكن كل هذا البلاء وهذا العناء وهذه المصائب التي نراه علينا ليس الملوم فيها غير انفسنا « ان الله لايظلم الناس شيئاً ولكن الناس انفسهم يظلمون » .

هل علمتم بما جنيتم .. فمظلومون انتم وانتم الظالمون ؟!

انا ارصد واترقب مر الايام ، وقد رأيت عياناً محسوساً ان الكتاب الصادر في العام الماضي ، والذي يقول « هؤلاء سبأية

سامانية ، ازيحوهم واكسحوهم من العراق ، لا تعطوهم شيئاً من الحقوق » . . اليوم ارى عياناً انهم اخذوا يطبقون تلك النظريات ويسيرون عليها . . ولكن من ذا يحس ويصل للمستقبل ؟ !

نحن نشتغل ، ولكن شغلنا بمثل هذه الامور التافهة من « المطربات » والكباريتر والافتراء على الله والنبي والزهراء . فنؤذي قلوب العلوم المهاجرين عوض احترامهم واكرامهم ، وفي الحديث القدسي « من آذى لي مؤمناً فقد بارزني بالمحاربة » ، مستعدون نشتغل بمثل هذه الامور . . اما من جهة ما يجري على اخواننا واولادنا من البلاء ، وقد استلأت منهم السجون ، فذاك امر لا ندري به ولا نتساءل عنه .

حدثني احد وجهاء الحلة يقول : الحلة اصبحت هي المحبس والسجن العام في القرات ، والبقية السجون صورة مبولة من كثرة المسجونين ، ولكن قف على سطح السجن وناد : يا نصراني (لا جواب) ، يا يهودي (لا جواب) ، يا صبي (لا جواب) ، يا جعفري (مئات والوف من الاجوبة) ! ! . فاهل الجنايات والحبوس كلهم منا ، وباليقين ليس كلهم اهل جرائم ، بل قسم منهم ابرياء وآخر جناة ، ووزر كلا القسمين على مجموع الامة .

اما الجناة فحيث ان الامة قد عدمت المصلحين الذين

يرشدونها فتركوهم واضلوهم امرهم ، فارتكبوا الجنايات ووقعوا في مباوي العقوبات . واما الامراء الذين ظلموا وحبسوا لاغراض وهوى في النفوس فوزرهم علينا ، لاننا لسنا بامة تدفع الضيم بعضها عن بعض ، فيأتي الذئب يفترس هذه النعجة والاخرى والثالثة . . . وهكذا ، ولا دافع ولا مانع . أليس الذئب علينا ؟ اليست البلية سوف تصل الى كل منا ؟

ذهب الايمان من صدورنا فذهبت العزة والنخوة من رؤوسنا والله ـ سبحانه ـ يقول : « العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » . ولكنا خنعنا فصرنا اذلاء .

يقول امير المؤمنين (ع) في نهج البلاغة : « وان امرأ يمكن عدوه من نفسه ، يهشم عظمه ويفري لحمه ويمتص دمه ، لهادي الرهن ضعيف ما ضمت عليه جوانح صدره . انت فكن ذاك ، واما انا فدون ان اعطي ذلك من نفسي ضرب يطير منه فراش الهام وتطيح منه السواعد والاقدام » .

ولكن أيرجى فينا الصلاح ؟ . . هيهات !

والله لايرجى الصلاح وامرنا ... فوضى وشمل المصلحين ممزق

ماذا يرد الظلم عنك ؟ ازفرة ؟ ... ام حسرة ؟ ام عبرة تترقرق ؟

لا تلجأن اذا ظلمت لخلق ... فهناك أضيع مايكون المنطق

انت ظلمت بالقوة ، وبالقوة يمكنك ازالة الظلم . وليست القوة الا اتحادكم ورفع الاحقاد التي هي على غير طائل فيما بينكم ، وقد صرتم غنيمة للاجانب . حالنا حال الاغنام تماماً . . كل يوم الجزار يسحب قسما منها والباقي ساكتون . لاهون بالعشب والمرعى ، لا يدرون ماسيجري بهم غداً .

ايها الناس !

نعود الى ما كنا فيه :

الله يقول : « وما كان ربك مهلك القرى بظلم » . . اسرعوا في الاصلاح والا هلكتم ، ولا اقول ستهلكون ، ولكنكم هلكتم . . وانا الناصح لكم ، ولا ينبئك مثل خبير .

اليس من العار والخزي ان تشتغلوا بمثل هذه التوافه وانتم في قعر ظلمات الظلم ؟! . . في صحن الامير تهتكون حرمات الله !

ايها الناس !

اعلموا ـ وانا المسؤل عنكم امام الله ـ ان اعمالكم في تاسع ربيع كلها حرام ، وضرب « الطرقة » اعظم من شرب الخمر . . ضارب الطرقة كبائع الخمر ! فحاربوا هذه الاعمال واشباهها مثل اذية المؤمنين ، من آذى مؤمناً فقد انقطعت العصمة بينهما ، واذا انقطعت العصمة بينه وبين المؤمنين انقطعت صلته بالله ،

وعند ذلك الويل والثبور . لايكفيكم فعل هذه المنكرات المخزيات حتى صرتم تنسبونها الى الله ـ جل شأنه ـ والى الشرع الشريف « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها . قل : ان الله لا يأمر بالفحشاء . بل على الله تفترون » .

تكذبون على الله وتقولون هذه « فرحة الزهراء » !!

ايها الناس !

قمت بينكم في العام الماضي وارشدتكم ، واشكركم ، ويشكركم الحق ، حيث اطعتم وامتثلتم . وأرجو ان تكونوا في هذا العام اشد منكم في العام الفائت في ترك هذه المحرمات .

هذا مشهد امير المؤمنين (ع) اسد الله واسد رسوله ، وباب مدينة العلم والتقى . ألا يجب ان يكون من اطهر البقاع وانقى المعاهد ؟

الشيبة يذكرون ان احد الولاة كان محباً لاهل البيت ، وجاء للنجف مرة ، وامر بان تنزع الاحذية في باب الصحن ، ومنع البصاق والتدخين داخله ، ومضى زمن على ذلك . هؤلاء رجال من العامة ، انظروا كيف يقومون بالحرمات ، ونحن الشيعة نضرب الطرقات قرب الرأس ، ونحرق الاموات . مائتا جاهل يعيشون واكثر من ٣٠ الف نسمة لايتصدون لردهم .

انا لا نمنعكم من الانس والسرور ، فان هذه الايام ايام انس وفرح ، ايام المولد النبوي المبارك الذي ارسله الله رحمة للعالمين... ولكن ليس السرور بضرب الكبائر والطرقات وايذاء المؤمنين ، بل بعقد الولائم والمجالس ، وعمل النكات الهزلية الادبية ، وقراءة مدائح النبي واهل بيته .

ما يستحون من الله ويريدون رحمته ! . . ليلة الوفاة ، وفاة سيد الانبياء ، يضربون الطرقات . الوزر عليكم جميعاً ايها الناس ! . . هذا يوم ولله يوم آخر ! الغيرة مسلوبة من الخلق ، ولو كانت هناك غيرة لما استعيدوا وذلوا . يقولون اننا اكثرية . . ولكن ماذا تفيد الاكثرية . . اكثرية الغنم مقابل مدية الجزار ؟! اصلاح معدوم وصلاح مفقود .

اين المصلحون ؟ اين احرارکم ؟ اين صلحاؤكم ؟ . . . لو كان هناك اصلاح لما انحطت الهيئات الاجتماعية والفردية كلها الى هذه الدرجة من التعاسة . الآية الشريفة تقول « وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين . فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

نصائح وعبر

ايها الناس !

الله قيضني لاتسلم الحجة عليكم أن ادق المتير مرة في كل عام على الاقل ، لكي انذركم واحذركم من الغوادي ، والرزايا ، واعلم لا تعرفونها ، وانا اراها بدقيق النظر وثاقب الفكر والبصر .

اجمعوا صفوفكم ، ووحدوا كلمتكم .. اعملوا اعمالا منظمة بقيادة كبراء الامة ، لتدفع ما احاط بنا من الذل وسقوط الشرف الذي صيرنا فقراء ، غائصين مغرقين ، واصبح غيرنا متنعما باموالنا في القصور الشاهقة والجنائن المونقة ، اصبحنا فقراء اسراء في بلادنا وكل ذلك من انفسنا ، فوضى .. فوضى في كل شيء .. متفرقين في كل ناحية !

لاتصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا لا زعامة ولا حشمة بسيادة الجهال ، فيجب ان تبحثوا عن الناس شفوقين عليكم ، تنقادون لارشاداتهم وتعاليمهم لينقذوكم من هذا البلاء .

السجون مملوءة منا ، والضرائب والضربات متوالية علينا ، ونريد ان نكون محترمين ، وان تدفع الينا حقوقنا . . وذلك لايكون بالالتماس .

الحق يؤخذ ولا يعطى . . . اذا لم تأخذوا الحق بالقوة لاتأخذوه بالالتماس والمرونة . الامة التي تم بينها الوئام يستحيل ان تذل وتضام ، انما الظلم والضيم فهما لكل امة مشتتة متفرقة .

سيد الشهداء علم كل الدنيا ، لاخصوص الشيعة ، طريقة الاباء والعز والشرف والشهامة . فعل فعلا فريداً من نوعه ليعلم شيعته الاباء والتمسك بالمبادىء المقدسة ، ولكنا تركنا اللباب واخذنا القشور ، واقتصرنا على النوح واللطم والبكاء ، اما الاقول لا تلطموا ، بل اقول لاتقتصروا على القشور والظواهر وتتركوا اللباب والجواهر .

الحسين ـ سلام الله عليه ـ لم يكن فقيراً ولا يائساً ضعيفاً ، بل كانت جميع اسباب النعيم والثروة متوفرة عنده حاضرة لديه ، ولكنه فادى بكل ذلك في سبيل الشهامة وعدم الرضوخ والذل .

محمد بن بشر الحضرمي تألم لما اسر ولده في الري ، فاذن له الحسين بالذهاب افتداء ولده ، ولكنه ابى ، فقدم له الحسين خمسة ثياب كل ثوب بقيمة مائتي دينار ذهب ، وسقى الحر والف فارس

والف فرس ماء ، مع انه كان في بادية هيماء ، لا ماء فيها ولا كلاء .

اين ذهبت تلك المغازي ؟.. أفيل كان قصده من شهادته الالم والبكاء ؟

العرب البائدة قبيلتان : « طسم » و « جديس » . تغلبت طسم على جديس وفعلت بها الافعال الشنيعة واذلوها ، الى ان اغتصب ملك طسم امرأة من فتيات جديس ، فخرجت على قومها وفي نواديهم تصيح :

أيجمل مايؤتى الى فتياتكم ... وانتم رجال كثر عدد النمل
فلو اننا كنا رجالا وكنتم ... نساء لما كنا نقر على الذل
فان انتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساء للمغازل والكحل

امة تعودت على الانخداع بالالفاظ والاقوال ، لاتوجد فيها نهضة شريفة قويمة ، ولا فكرة ناضجة مستقيمة .

هذه اعمال تاسع ربيع كلها محرمة ماانزل الله بها من سلطان ، ولو انكم تشربون الخمر لكان خيراً لكم من هذه الاعمال ! ! ولكنكم - ان شاء الله - لاتخمر تشربون ولا افعال محرمة تفعلون . انتم بنظر اسد الله وفي جواره ، انتم بضربكم « الطرقات » تضيعون الاموال وتؤذون الاحياء والاموات ، فما هذه اللذة ؟

أي امة من الامم الوحشية تعمل مثل اعمالكم هذه ؟ . . انظروا البدو ، فهل عندهم مثل هذا ؟

نحن في بلد هو مهبط العلم ومحط رحال رواد المعارف ، افيليق ان تكون افعالنا فيه مثل هذه ؟! لاحياء ، لا غيرة . . . والتقصير مني ومن امثالي ، وما هناك من مصلح ، بل كلنا مشغولون بمصالحنا .

وظيفة العالم لا تنحصر في الفتوى فقط ، بل اهم وظائفه الارشاد والاصلاح « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم» والعلماء ورثة الانبياء والاوصياء ، فيجب ان يقتدوا بهم في التزكية والتهذيب .

ايها المؤمنون !

طال المقام ، فاختم كلمتي بشيء ربما يؤثر عليكم :

في مثل هذا اليوم انفتحت ابواب المصائب على المسلمين ، لان الرحمة العامة التي ارسلها الله لحمل مشعل الاصلاح ارتفعت . . ارتفعت تلك الرحمة عن البشر في مثل هذا اليوم . فما اجدرنا بالحزن والبكاء فيه ! لانه يوم كان فيه مصدر مصائبنا وارتفاع الخير والبركات عنا .

اذكروا نبيكم على الفراش والاعمال تدبر . اريد ان اشير لكم الى معنى كي تعرفوا عما للتدابير والمؤامرات من التأثير في تحوير الحقائق . . اربعة او خمسة تآمروا ودبروا . وعلى الحق تعاونوا وتناصروا . وعقدوها عقدة لاتحل . أفلا يوجد فيكم اربعة او خمسة يديرون للحق ويتعاونون للعدل ويتناصرون على دفع الضيم ؟ . . ولكنكم عند قدوم تاسع ربيع ارقصوا في هذه الزاوية من الصحن وتضاربوا ! ! واعمالكم عندئذ والله معدومة حتى عند الوحوش والبهائم ! !

غفر الله لنا ولكم . والسلام عليكم .

في ذكرى
ميلاد امير المؤمنين علي
عليه السلام

خطبة الفقيد الراحل «كاشف الغطاء» في مولد الامام امير المؤمنين علي - عليه السلام - في ١٣ رجب ١٣٦٨ في «حسينية باب السيف» في «الكرخ» ببغداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اشرح لي صدري ، ويسر لي امري ، واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي » .

يعز علي ـ ايها الاعزة ـ ان أحل مجلسي لانتهاز هذه الفرصة الثمينة والقاء ما يناسب هذه الليلة المباركة وهذا المحفل الكريم مع اني في دور النقاهة .. منهوك القوى ، خافت الصوت ، ضيق الصدر ، رهين العلة والمعالجة ، ومن يقول عن مقال له تواضعاً : هذا جهد المقل ، او هذه نفثة مصدور .. فانا اقولها حقاً لا تنازلاً . والعيان اصدق شاهد على ذلك .

نعم ! نبتدىء كلمتنا متفائلين بقوله ـ تعالى ـ « فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل : الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين . وقل : رب انزلني منزلا مباركاً وانت خير المنزلين . وقال : اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي على صراط مستقيم » .

هذه السفينة في الزمن الاول والعهود المتوغلة في القدم اول مركب نجا به جميع من على وجه الارض من المؤمنين المستضعفين، تخلصوا من سطوة الغاشمين وسيطرة الظالمين ، بعد الجهود الطائلة واتمام الحجة من شيخ الانبياء زهاء الف سنة ، وبعد ان عامت السفينة في امواج الطوفان الذي غمر هـــذه الكرة باجمعها سنة كاملة ، قيل : يانوح ! اهبط بسلام وبركات منا عليك وعلى امم ممن معك » .

نعم ! هذه السفينة هي السفينة التي شبه رسول الله (ص) اهل بيته بها في الحديث المشهور بين الفريقين : « اهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك وهوى » .

ومن يتدبر حال العصور التي قبل الاسلام وماكان العالم فيه ، لا جزيرة العرب فقط ، بل حتى الدول العظمى في تلك القرون ، من الفرس والروم .. من يتدبر ما كانت فيه تلك الامم من الجهل والجور والاستبداد ، يعرف طوفان البلاء الذي غمر الدنيا يوم ذاك ، ويعرف شدة الحاجة الى من ينقذ ذلك الخلق اليائس من تلك الغمرات .

فبعثت العناية الازلية المنقذ العظيم حبيبه محمد رسول الله صلى الله عليه واله .. ولكن قبل ان يتم رسالته وينقذ عموم البشر

من ذلك الشر الذي توغل في النفوس واستفحل من عهد قديم ..
آمنت الحكمة العامضة ان يعود الى الملكوت الاعلى الذي جاء منه.
واكمالا للرسالة ، وابلاغا للغاية ، اشار الى مبرم يتم به الفرض ، ومن تقوم به الحجة ، فقال قبل رحلته بقليل : « اني تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتي اهل بيتي » . وبهذا اتجه ان يصدع الوحي بقوله ـ تعالى ـ : « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي » .

وبعد نبي الرحمة ، عند قرب رحيله ، ان العالم لايزال بعده مغمورا بطوفان الجهالة ، والضلالة لاتزال مستحكمة ، وان لابد لهذا الطوفان من سفينة تنجي من اراد النجاة ، فقال : اهل بيتي هم السفينة ، وفي دعاء شعبان : « اللهم صل على محمد وآله ، الفلك الجارية في اللجج الغامرة ، يأمن من ركبها ويغرق من تركها ... ولابد السفينة فاركبوها ... نجا والله من ركب السفينا

بيد ان سفينة نوح ما نجت من الطوفان ورست على الجودي إلا بمحمد وآله (ص) . . كما اشار الى ذلك العباس بن عبد المطلب في مقطوعة تنسب له يمدح بها ابن اخيه محمد (ص) فيقول :

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستحصف حيث يخصف الورق

ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا نطفة ولا علق
بل مثلك تنقذ السفين وقد لجم نوحا وقومه الغرق

صانع السفينة الاول شيخ المرسلين ، وواضع السفينة الثانية سيد المرسلين .

السفينة الاولى خشب يجري على الماء ، والسفينة الثانية نور هبط على الارض من السماء . واضعها محمد (ص) ، وربانها وصيها اخوه وصنوه الامام الذي احتفلت هذه الجمعية (جمعية المقاصد الخيرية العراقية) بذكرى ولادته في هذه الليلة المباركة « لنا اجتماع في ليلة مباركة ، انا كنا منذرين » .

ولا نستطيع في مقامنا هذا ، ان نأتي على البعض من فضائل هذا الامام العظيم فضلا عن الكل . ومن ذا يقدر على احصاء نجوم السماء من مناقبه . شجاعته ، وبلاغته ، وزهده ، وسوابقه في الاسلام ، التي هي كلمات الله . « ولو أن في الارض من شجرة اقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ، لنفذ البحر قبل ان تنفذ كلمات الله » . « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي » .

انما المناسب في المقام هو التعرض لولادته في هذه الليلة المباركة . ونتعرض لشأن واحد من شؤون ولادته بسلام الله عليه

وهو ولادته في الكعبة على اشهر الروايات ، ولمثل غيرها من مدسوسات النواصب ، الذين يريدون أن يستروا ضوء الشمس بأكفهم .

وولادته في الكعبة طفحت بها الكتب وعظمتها الشعراء حديثاً وقديماً ، وآخرهم « عبد الباقي » الشهير في مستهل قصيدة له :

انت العلي الذي فوق العلى رفعا ببطن مكة وسط البيت قد وضعا

وهي منقبة لم يشاركه فيها احد في الاسلام .

وقد ذكروا ان مريم لما جاءها المخاض بعيسى (ع) أوت الى بيت المقدس لتضعه فيه ، فناديت : اخرجي يامريم ! فهذا بيت العبادة لا بيت الولادة ! . . وفاطمة بنت اسد لما احست بالطلق وهي في الكعبة ، انشقت ولم تقدر على الخروج حتى وضعت علياً ـ عليه السلام ـ .

ولعل في هذه الحادثة الغريبة اسرار ورموز اجلها واجلاها ان الله ـ سبحانه ـ كان يقول : ايتها الكعبة! اني سأطهرك من رجس الاوثان وعبادة الاوثان والانصاب والازلام بهذا المولود فيك .

وهكذا كان . . . فان النبي دخلها عام الفتح والاصنام منضودة ومعلقة على جدرانها ، ولكل قبيلة من قبائل العرب صنم . . . فأصعد علياً على منكبيه ، وصار يحطمها ويرمي بها الى الارض ،

والنبي (ص) يقول : « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » .

وقد تقلم « الشافعي » هذه الفضيلة في مشهورة تنسب له ، يقول في آخرها :

وعلي واضع اقدامه ... في محل وضع الله يده

فان النبي كان يحدث عن المعراج قائلا : « ان الله ـ عز شأنه ـ وضع يده على كتفي حتى احسست بردها على كبدي » .

وفي ولادته رمز آخر لعله ادق واعمق . . وهو أن حقيقة التوجه الى الكعبة هو التوجه الى ذلك النور المتولد فيها . ولو أن القصد مقصور على محض التوجه الى تلك البنية وتلك الاحجار لكان ايضاً نوع من عبادة الاصنام ـ معاذ الله ـ . ولكن التناسب يقضي بان البدن ، وهو تراب ، يتوجه الى الكعبة التي هي تراب ، والروح التي هي جوهر مجرد تتوجه الى النور المجرد . وكل جنس لاحق بجنسه . . النور للنور ، والتراب للتراب . والى بعض هذا اشار بعض شعراء الفاطميين اذ يقول عن الامام :

بشر في العين إلا انه ... من طريق العقل نور وهدى

جل أن تدركه ابصارنا ... وتعالى ان نراه جسدا

فهو في التسبيح زلفى راكع ... سمع الله به من حمدا

تدرك الافكار منه جوهرا كاد من اجلائه ان يعبدا
فهو الكعبة والوجه الذي وحد الله به من وحدا

وهذا الطراز من الشعر وان كان فيه شيء من الغلو ، ففيه كثير من الحقيقة ، وفيه لمحات من التوحيد .

نعم ! نتوجه بابداننا في خلواتنا الى الكعبة ، وبارواحنا الى النور الذي اشرق واضاء فيها .. نتوجه اليه نجعله الوسيلة الى الله ، كما قال - عز شأنه - : « اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة » نتوجه اليه كي يوجهنا الى الخير والسداد . فالتوجه منا اليه والتوجه منه لنا .

نعم ! كتاب الله والعترة سفن النجاة والعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، ولا يضل ولا يزل من تمسك بهما .. ولكن ليس التمسك قولا باللسان وثرثرة بالالفاظ ...

التمسك عقيدة راسخة واعمال صحيحة ، بنية خالصة ، وقلب طاهر سليم ، واخلاق فاضلة ... التي هي روح الدين وجوهر الاسلام ، والتي طفح بها الكتاب والسنة .

ولكن اين نحن من مراحل هذه الفضائل والاخذ بهذه الوسائل ؟! ... ايهذا التفسخ الاخلاقي والتفكك الاجتماعي ونبذنا الكتاب والسنة وراء ظهورنا نريد ان نعيد انفسنا من

المسلمين وبالعروة الوثقى متمسكين ؟! ... كلا ! وكلا ! ...
واركان لنا من الاسلام ذرة اوذرة لما سقطنا هذا السقوط الشائن
ولا فعلنا هذا الفعل المخزي .

امتحنت « فلسطين » بمحنة الصهيونية منذ اربعين سنة ، وما زالت الصهيونية تتقدم والعرب والاسلام تتأخر . وقد افتتحت معاركها الاولى ، ولم ازل منذ عشرين سنة ، اقرع المنابر واقرع الاسماع بالخطب النارية ، وانشر المقالات الماتمية في الصحف وغيرها ، واهيب بالمسلمين وادعوهم الى الوحدة وجمع الكلمة ، وان الاسلام بني على دعامتين « كلمة التوحيد ، وتوحيد الكلمة » ، واصرخ الصرخات الداوية ان يصلحوا الوضع بينهم لانقاذ فلسطين الدامية ... وكنت من زمن بعيد ابث شجواي في ابيات منها :

نهضت فقيل اي فتى فلسطـــا ... خبرت القوم طاب لي القعود
واني بعد بعيـــدة وقومي ... كضاربة وقد برد الحديد
وحيد بينهم ولعـــل يوما ... عصيباً فيه يفتقد الوحيد
لنا في الشرق أوطان ولكن ... تضيق بنا كما ضاقت لحود
نقيم بهـــا على فقر وذل ... ونظماً ، لا يساغ لنا ورود
مواعيـــد السياسة بينات ... تكيد بها السياسة من تكيد

وعود كلها كذب وزور فكم والى م تخدعنا الوعود ؟
اذا ما الملك شيد على خداع فلا يبقى الخداع ولا المشيد
اذا لم تبنِ ملكاً صحيحاً فلا تغني الجيوش ولا البنود

ومن هذه الشعلة ثلاثة ابيات ذكرتها في مقدمة الجزء الاول من مؤلفنا « الدين والاسلام » الذي طبع في مطبعة الهرفان قبل ٣٨ سنة ، وهي :

فلا طلعت على الشمس يوماً اذا عن مجد قومي لا تذود
اموت وقد بلوت النفس جهداً كما تحمي عرينتها الاسود
كذلك فلتكن للعرب نفس والا ما الحياة وما الوجود ؟ !

نعم ! كنا نعتز بذكر العرب ونرتاح بالانتساب اليهم . . ثم دارت رحى الزمان ، فصرنا نخجل من ذكر العرب والعروبة وما يشتق منها ، ونود لو كنا من « الخزر » و « البربر » ولم نكن من هذه الامة . وانطبق علينا تماماً قول القائل :

ورثنا المجد عن آباء صدق اساءوا في ديارهم الصنيعا
اذا الحسب الرفيع تواكلته بناة السوء اوشك ان يضيعا

« فلسطين » قلب البلاد العربية تحقيقاً ، تحقب بها كالهالة مصر وسوريا ولبنان والاردن والحجاز . . فاذا هلك القلب فما حال بقية الاعضاء ؟ ! . . ولا شك ان الوضع اذا بقي على هذا

الحال فلنا فلسطينيات اخرى في زمن قريب ـ لاسمح الله ـ !

ألا يخطر على بالكم قول شاعر الفردوس الضائع ـ الفردوس العربي ـ حيث قال :

حثوا ارواحكم يا اهل اندلس ليس البقاء بها إلا من الغلط
من جاور الشر لابأمن عواقبه كيف الحياة مع الحيات في سفط
العقد يبقى من اطرافه وارى عقد الجزيرة ميثورا من الوسط!

مصيبة المسلمين عظيمة . . . واعظم منها ! ان المصائب من شأنها ان تنبه الشعور ، وتعطي لاهلها دروسا وعبر ، وتجمع الشمل ، وتوحد الكلمة . . . اما مصيبتنا بفلسطين فما صنعت شيئاً من ذلك ، وتلقاها زعماء العرب وقادتها الذين ذبحت فلسطين على مذبح مطامعهم الدنية وجشعهم الخبيث . . . نعم ! تلقوها برحابة صدر وبرودة دم . . وما كفاهم ذلك حتى مكنوا اليهود ـ طامعين ـ من البقيـــة الباقية من اراضي فلسطين التي يسكنها الالوف من عرب المسلمين ، وجعلوهم عبيد اليهود ، يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون .

وكانت اماني فلسطين تأمل من ملوك العرب نصرهم . . . ويا ليتهم كفوها شرهم ، ولم يكونوا معاسرة للمستعمرين ومنفذين لارادتهم .. وسوف يعلمون كيف تدور الدائرة عليهم!

« ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل . فسوف يعلمون » .

نعم ! كل ما اصابنا انما هو من محاربتنا للدين ، ونبذنا القرآن ، وترك العمل بتعاليم الاسلام .

وما افسد هذا الشباب الخليع المستهتر إلا هذه المدارس التي جعلت الدين شرا لا لب فيه ، وجسدا لا روح له . . .

ولكن . قد حيى ميت الامل ما بشرني به معالي الوزير « النجيب الراوي » (١) ـ حفظه الله ـ من انه جعل في المدارس ـ أو سيجعل قريبا ـ للدين والقرآن درجة وامتحانا ، وينتخب المعلمين من ذوي الثقافة الدينية والعفة والامانة ، وفقه الله لهذه الخدمة الجليلة ، وإنه الجدير بمثلها ، ولا نرتجي الا من مثله .

ايها المسلمون !

عودوا الى ما كان عليه اسلافكم تعد لكم عزتكم . اكرموا القرآن بالعمل به كي يعيد لكم كرامتكم . اترجون صلاحاً او اصلاحاً من هذا الشباب الوامق المنجرف في تيار شهواته ؟ !

اصل بليتنا ـ معاشر المسلمين ـ هو الاستعمار . . وكل رزية وبلية فالاستعمار اصلها وفرعها ، ومنبعها ومصاصها ، وما جر علينا

---

(١) هو نجيب الراوي ابن المرحوم العلامة الشيخ ابراهيم الراوي ، وكان وزيرا للمعارف حينئذ ، ومحاضرا في الاحتفال .

بلاء الاستعمار ، ومكنهم من نفوسنا واموالنا واولادنا واخلاقنا وتقاليدنا ، الا زعماؤنا وقادتنا .

وملوكنا قد اسلمونا للعدى ... في ملوكنا ما تصنع !

وما افسد الاسلام الا عصابة ... تأمر نوكاها وحلم تعبدها

واضحت قناة الدين في كف فاجر ... اقيم لاصلاح الورى وهو فاسد

وهل يستقيم الظل والعود اعوج ؟!.. يقولون (بالزبيبة عود) اما نحن فنقول : ففي الزبيبة عود كل احد يراه ويشكو الى الله . لمثل هذا يذوب القلب من اسف ... لو كان في القلب اسلام وايمان

ايها المسلمون !

احفظوا اولادكم من هذا الشر المستطير والداء الذي يفسد دينهم ودنياهم . . انشئوا لهم مدارس اهلية مثقفة ثقافة دينية تتلاءم مع روح العصر ، واستحضروا لهم معلمين من اهل الصلاح والفضيلة ، فان اهم واجب على مدارس اهلية او حكومية جعل الدروس الدينية في الدرجة الاول من الاهمية ، وتجعل لها امتحاناً وشهادة .

ولا يتسنى للاهليين انشاء المدارس الكافية للتعليم الا بتشكيل الجمعيات الخيرية ، كي تتعاون على هذه الاعمال الجليلة والمشاريع الخيرية .

وهذه « جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية » بادرة خير من امثالي الكرخ ، وهي بذور صالحة يرجى بتوفيقه ـ تعالى ـ وهمة المؤسسين لها ومعاونة اخوانهم لهم ان تنمو نماء حسناً وتثمر ثمراً جنياً ، يجدون فيها الهدى والهنا والخير والبركة في انفسهم واولادهم واموالهم .

ومن المعلوم ان الجمعيات مثل كل كائن يحتاج في نموه وبقائه الى غذاء ، وغذاؤها المال . . فلا تتهاونوا في التعاون والمساعدة ، كل حسب امكانه ومقدوره . . والقليل من الكثير كثير . فتعاونوا واجتمعوا ، فان يد الله مع الجماعة ، والاجتماع خير وبركة .

وآخر وصيتي وتصيحتي اقولها بدء وعوداً ، ولا اخص بها المسلمين ، بل اقول :

ايها البشر ! عليكم بالقرآن ، ففيه سلامتكم ، بل سعادتكم . ولو عمل الناس واخذت الدول بتعاليمه لاستراحت البشرية من هذا التكالب والتحارب ، وعرف كل حده وحقه .

القرآن اجعلوه الجامعة العربية والوحدة الاسلامية ، وتجنبوا الخلافات المذهبية والخصومات الطائفية ، وليعمل كل على مذهبه في فروعه بغير جدال ولا خصومة .

واقصى الاماني والآمال ان تتوحد الحكومة والامة ، فتكون

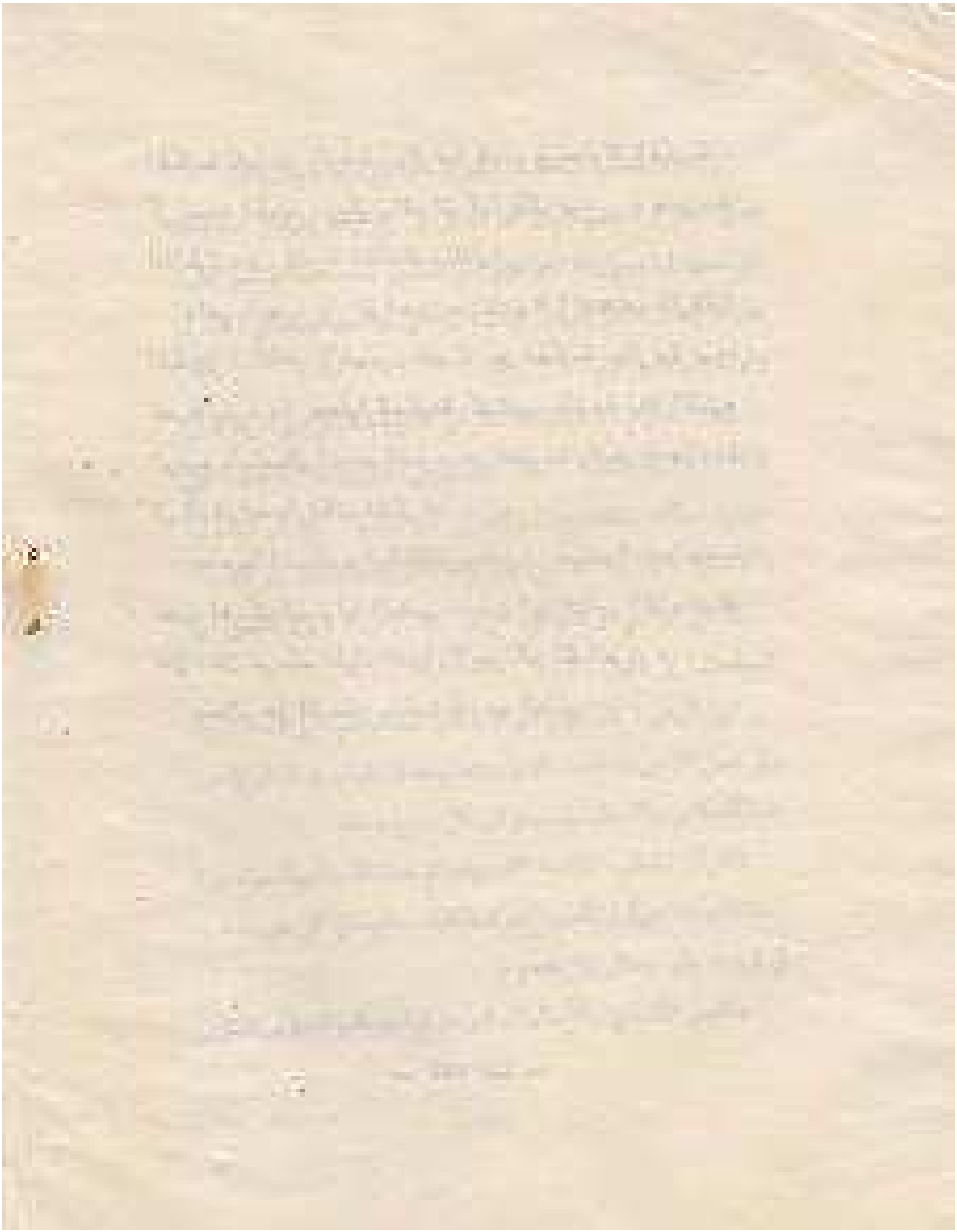

الحكومة كالأب يبر بالرعية ، والرعية كأبناء في معاونة الحكومة ، كي يسعد الجميع ، ويكون العراق كما يقال عن « جمهورية الفلاسفة » و « المدينة الفاضلة » للفارابي .

وأهم ما يجب على المراجع المسئولة انتخاب الموظفين المهذبين ، الذين لا يقطعون الصلة بين الحكومة والرعية بسوء تصرفاتهم ، ولا يجعلوا الحكومة كذئاب مقترسة لهذا القطيع الوديع باستعمال الضغط القطيع من القطرسة والكبرياء والشدة الى الرشوات وارتكاب المنكرات .

حاسبوا انفسكم ـ ايها الناس ـ قبل ان تحاسبوا . . واجعلوا نصب اعينكم المسئولية العظمى . . ويا ايها الناس ! ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور » .

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

خطبة

الامام كاشف الغطاء
في المؤتمر الاسلامي بباكستان

نص خطاب سماحة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في مؤتمر علماء الاسلام بباكستان يوم السبت ١٨ جمادي الاولى سنة ١٣٧١ الموافق ١٦ فبراير سنة ١٩٥٢ :

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، ولم اكن بدعائك رب شقيا » .

قال ـ سبحانه وتعالى ـ : « هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

اشارت هذه الآية الكريمة الى حال الاميين قبل الاسلام وبعده ، والمراد بالاميين : الجاهلين من العرب وغيرهم من الامم ، وقد كان العالم ، يوم ذاك ، باجمعه في الحقيقة اميا ، يتخبط في ظلمات الظلم والجهالة والغي والعمى ، فاشارت الآية الى هذه الحالة ، وعبرت عن سوء هذا الحال باوجز عبارة واجمعها لمعاني الشقاء ، وهي قوله ـ تعالى ـ : « وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » .

كان البشر عموما كسفينة في بحر عجاج تتقاذفه الامواج ، وكان العرب بالاخص في اقصى مراتب الشقاء ، يعبدون الاوثان ،

ويعتدون بالاثم والعدوان .. يغزو بعضهم بعضا ، ويشب بعضهم على بعض .. يقتلون اولادهم خشية املاق ، ويدفنون بناتهم حال الحياة حذر الانفاق .. عصابات متغارية ، وقبائل متحاربة .. لا علم ولا ثقافة ، ولا تفكير ولا تدبير ، ولا صناعة ولا زراعة ..

لا نظام ولا وئام .. عصابات وعصبيات .. تسودها القبلية ، وتقودها الاقليمية ، ويحكمون حكم الجاهلية .. «افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن احسن من الله حكما ؟ ...» .

وبينما هم - اي العرب وجميع البشر - يتخبطون في حنادس هذه الاهوال والاحوال ، من التعاسة والشقاء ، والطيش وسوء العيش .. اذ أشرقت شمس الاسلام على الانام من افق العناية الازلية وسماء الالطاف الاحدية .. جاء الاسلام الى الانام ، ففتح الاسماع وكانت صماء ، ونور الابصار وكانت عمياء ، وصقل القلوب بالنور وكانت ظلماء ، وبدل كل وضع سيء بالاحسن «وبدلنا مكان السيئة الحسنة» .

وكان اول بذرة غرسها وقاعدة رصينة اسسها قاعدة «التوحيد للخالق ، وتوحيد الخلوق للمخلوق» : «الخلق امام الحق سواء» ، «لا فضل لعربي على عجمي» .. سحق العنصريات وعق العصبيات ، واباد نعرات الطائفيات ، وصار يسقي هذه

البذرة ـ بذرة التوحيد ـ ويتعاهدها وينميها قولا وفعلا ، سرا وجهرا ، فكرا وذكرا ... « يا ايها الناس ! انا خلقناكم من ذكر وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، والله عليم خبير » . « ايها الناس ! كلكم لآدم وآدم من تراب ، لافضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » .

ولما ـ بعد ـ حلام الله عليه وعلى آله ـ ان داء التفاخر بالانساب صار داء مستحكما في ذهنية العرب ، بل وعموم الامم تلك الايام ، صار يعيد ويبدي ، يكرر التحذير من هذا الداء ، فيقول : « يابني هاشم ! لايأتيني الناس باعمالهم وتأتوني بانسابكم تقولون نحن ذرية محمد » .

ثم حقق ذلك في العيان عمليا ، واوجده خلقا سويا ، فوحد وآخى بين « صهيب الرومي وبلال الحبشي » و « سلمان الفارسي وابي ذر العربي » .

وقد شاعت وانتشرت كلمتنا حيث قلنا قبل عشرين سنة : « بني الاسلام على دعامتين : كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة » . فكان هذا الدين دين التوحيد ، دين الوحدة ، دين المساواة ، دين محق العصبيات وسحق العنصريات ، ونبذ القوميات وعنعنات الطبقات ، والتفاخر بالانساب والتعالي والتفوق بالآباء والامهات .

خرج صاحب الرسالة ، منقذ البشرية ، رسولنا الاعظم ، أعلى مثل لذلك .. فزوج بنت عمته زينب ، وابنا بنت عبد المطلب سيد البطحاء ، من غلامه وعلوكه وعتيقه زيد بن حارثة ، فقضى بهذا على سيئتين من سيئات الجاهلية وعاداتها : سيئة التبني ، اي البنوة المصطنعة ، ما كان محمد ابا احد من رجالكم ، ولكن رسول الله ، وسيئة التعالي بالانتساب . ولم يجعل الناس طبقات عالية وسافلة بغير العلم والتقوى .

ومشى اصحابه وخلفاؤه الراشدون على ضوء هذه التعاليم ، والتزموا المشي على هذه السنة والمنهاج . وكلمة الخليفة عمر (رض) مشهورة ، حيث قال لبعض امرائه حين ضربه بسوطه وقال له : متى استعبدتم الناس وقد خلقهم الله احرارا ؟ ..

واجل واجلى من ذلك قصة جبلة بن الايهم الغساني احد ملوك الغساسنة في الشام ، حين جاء الى المدينة بأفخر ابهة واعظم زينة ، ودخل « يثرب » بموكبه الملكي ليعتنق دين الاسلام . وكان يوم وروده يوما مشهودا ، وللمسلمين عيدا سعيدا . وبعد ان اسلم وغمر الفقراء بالمنح والعطايا ، خرج الخليفة عمر الى الحج وخرج الغساني بموكبه وبخيله ورجاله ، وبينما هو يطوف وضع رجل من عمار الناس رجله على طرف مئزر الملك فانحل ، فغضب الملك

الغساني ولطم الرجل لطمة شديدة . فشكاه الى عمر ، فاحضر الخصمين لديه ، وسأل المدعى عليه فاعترف . فقال عمر للمدعي : لك ان تقتص منه ويلزمه الانقياد لك . فقال الغساني للرجل : اشتري منك اللطمة بألف ، فابى ... ولم يزل يترقى حتى بلغ عشرة الاف ، فأبى الرجل إلا ان يقتص . ولما احرج موقف الغساني قال : كنت احسب ان كرامتي بالاسلام تتضاعف وتصان لا ان تسقط وتهان ! ثم استمهل الى الصباح ، وغلس مع موكبه هاربا من الحرم ليلا ، وذهب من فوره الى قيصر الروم في القسطنطينية « قرقوز » ، فاكرمه واعطاه اضعاف ما كان يملكه بالشام . ولكنه ندم وصار يأسف ويتلهف على ما فاته من شرف الاسلام ، وانشأ ابياته المشهورة التي منها :

تنصرت الاشراف من اجل لطمة ... وما كان فيها لو صبرت لها ضرر

فيا ليت لي بالشام ادنى معيشة ... اروح واغدو قائدا لسمح واليسر

ويا ليتني لما اصبت بنكبة ... رجعت الى القول الذي قاله عمر

ونحن لا نريد ان نعلق على هذه الحادثة الغريبة ، ولكن على الفاهد منها بيان صلابة الخلفاء في التزامهم تعاليم استاذهم المنقذ الاعظم مهما كلفهم الامر وفاتهم من الفوائد الجزيلة .

وادهش من ذلك خاصمة اليهودي مع الامام علي بن ابي طالب

ـ سلام الله عليه ـ عند عمر ، حيث قال له الخليفة : قم يا ابا الحسن وقف مع خصمك ! فظهر التغير في وجه الامام . . وبعد انتهاء الخصومة قال الخليفة : يا ابا الحسن ! لعله ساءك امري لك ان تقف مع خصمك اليهودي ؟ ! فقال : كلا ! وانما ساءني انك كنيتني ولم تساو بيني وبين خصمي ، والمسلم واليهودي امام الحق سواء .

فهل سمعت اذناك او رات عيناك امة كهذه الامة وبهذه الاخلاق الفاضلة . . ملكوا الشرق والغرب ، ودكوا عروش كسرى وقيصر باقل من نصف قرن . . ثم اخذت هذه الروح ، روح الوحدة ، روح المساواة ، روح التوحيد ، تضعف وتتضاءل حتى تلاشت ، وعاد المسلمون الى اسوء ما كانوا فيه في الجاهلية . . تفرقة في كل امر ، وشتات في كل شيء ، واختلاف وخصام في كل نظام .

ما انسلخ القرن الاول الا ونشأت المذاهب المختلفة والافكار المتضاربة ، واول فتنة اصابت الدين في قلبه فتنة الخوارج ، ثم اعقبتها فتنة المذاهب : معتزلة ، واشعرية ، ومرجئة ، وقدرية ، وزيدية ، واموية . . . ومثلها في الفروع : ظاهرية ، وحنفية ، وشافعية ، ومالكية ، وحنبلية . . الخلاف في الاصول ، اختلاف

في الفروع ، اختلاف في كل شيء .

وصارت سياسة الخلفاء تغذي هذه الخلافات وتقويها كي تستغلها وتعتمد عليها على قاعدة « فرق تسد » . وصارت الممالك الاسلامية ، من عهد بعيد والى اليوم ، يضرب بعضها بعضا ويذيق بعضها باس بعض ، حتى اوشك - لاصح الله - ان ينطبق عليها قوله - تعالى - « قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم ومن تحت ارجلكم ويلبسكم شيعا ، ويذيق بعضكم باس بعض » .

وانتهز المستعمرون هـذه الفرصة فامتلكوهم واستملكوهم جميعا ، وصارت الممالك الاسلامية كالفريسة الملقاة في الفلاة تنهشها الكلاب ، يأخذ كل واحد منها حصته حسب قدرته وامكانياته .

ثم ان كل دولة من الدول الاسلامية إنما نشأت وتكونت بعنوان اقليمي او عنصري ، كالعراق ومصر وايران والافغان وغيرها .. ولكن هذه الدولة الفتية ، الدولة الباكستانية ، انما نشأت باسم الاسلام ، والاسلام اولدها وكونها ، فالاسلام ابوها وهي وليدة الاسلام ونسله وسلالته . فيا هل ترى انها ستكون بارة بأبيها ، حافظة لعهوده ، معيدة لمجده ، فتسحق العنصريات ، وترعى الاقليات ، وتنظر كل رعاياها بنظرة واحدة ، وتعامل